النفخة

على النفحة والمنحة

لمؤلفها

الشيخ ناصر الدين الحجازي الاثري

وتليها

نظرة

في

النفحة الزكية في الرد على الوهابية

مؤلفها

ابو اليسار الدمشقي المي[illegible]

سنة ١٣٤٠ هـ ١٩٢٢ م

توزع مجاناً

مطبعة الترقي

النفخة

على النفحة والمنحة

لمؤلفها
الشيخ ناصر الدين الحجازي الاثري

وتليها

نظرة

في

النفحة الزكية في الرد على الوهابية

مؤلفها
ابو اليسار الدمشقي الميا[illegible]

سنة ١٣٤٠ هـ ١٩٢٢ م

توزع مجاناً

مطبعة الترقي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد الذي امرنا تعالى بالصلاة عليه بقوله « ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » وعلى آله الكرام وصحبه مدى الدوام (وبعد) فانني بينما كنت سائراً في احدى طرق مدينة دمشق اذ بصرت برجل عليه سيما العلم وبيده رسائل يوزعها على من لقيه في طريقه فقلت يالغربة ان هذا لنبأ غريب . وكل غريب للغريب نسيب . فدنوت منه فاهداني رسالة وهو يرتجف ويحرك شفتيه ويصوب نظره ويشير الى انه ابدع فيما كتب ، وتناول مقال الحق من كثب ، فقلت لا باس هذا شان من يفرح اذا كتب سطرا ، ومن بعد الحصر والعي قال شعرا ، فذهبت الى مسجد من مساجد البلد واذا رجل من اهل العلم جالس به فلما ابصرني والرسالة بيدي هز رأسه وقال لي ما هذه الرسالة فقلت له رأيت عنوانها وان من حاكها اسماها (النفحة الزكية في الرد على شبه الفرقة الوهابية) ومؤلفها يزعم انه من اكابر علماء دمشق يقال له الشيخ

عبد القادر الاسكندراني المنتحل لنفسه لقب الكيلاني فقال لي يا اخي انك لست من اهل البلد وليس لك خبرة فيما هنالك ان مدعي هذه الرسالة شن الغارة على كتاب الفجر الطالع لجميل صدقي الزهاوي وعلى ما لفقه الشيخ دحلان فاخذ ما اختاره منهما ولم يزد من عنده الا احرفاً يسيرة فدهشت لذلك واخذت الرسالة اتصفحها واملي على مواضع منها تنبيها لمؤلفها عساه اذا رجع الى تأليف غيرها أن يعلم قاعدة المحققين في الرد انهم ينزهون انفسهم عن السباب والشتم لمن يردون عليه ويجعلون نصب اعينهم قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) ثم يأخذ جملة من كلامه فيبين الغلط فيها ثم جملة وجملة حتى يستوفي الكلام بلا تحامل ولا اعتساف وان يتلو قوله تعالى « ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون » وليعلم انه اذا اشتم تلك النفحة وثاب اليه رشده قابل الضد بالضد ، ورجع من بعد وصالها الى الصد ، ولكن

وكل يدعي وصلا لليلى　　وليلى لا تقر لهم بذاكا

وحيث ان ذلك الفاضل لم يسلك في رده مسلك فن الجدل والاصول والمنطق جاريناه على مسلكه وقلنا اننا نلوي العنان عن ذلك ونرجع الى المقصود خدمة للحقيقة فنقول : صدر صاحب النفحة رسالته بما لفقه الشيخ احمد دحلان في آخر تاريخ امراء البيت الحرام

فسلك موطئ قدمه حذو النعل بالنعل بلا تأمل ولا تدبر ولا شك
ان الله تعالى يجمع الكل يوم القيامة ثم ينبئهم بما كانو يعملون .
وقبيح بمؤلف يملأ كتابه بالافتراء والتعدي وفي قصة الافك اعظم رادع
لمن كان يؤمن بالله ورسوله ويطلب النجاة لنفسه فيحاسبها خاليا وفي انفسكم
افلا تبصرون . ومهما تملق المتملقون واستتر المراؤون فان الله لا تخفى
عليه خافية ولا بد أن يشف الباطل عن الحق فيظهر ناصعا واضحا
واليك جملا من كلام صاحب الرسالة تدل على افترائه بما ادعاه قال
مستدلا على جواز السب والشتم بحديث اذكروا الفاسق بما فيه
يحذره الناس. اقول اخرج هذا ابو يعلى الموصلي وغيره بلفظ اذكروا الفاجر
بما فيه وذكره السخاوي في المقاصد الحسنة وقال هذا الحديث
لا يصح . وقال منلا على القاري في كتابه الموضوعات قال العقيلي ليس
لهذا الحديث اصل وقال القلانسي انه منكر وقال المنوفي وحسنه
الهروي وليس كذلك فقد صرح جمع من محققي الحفاظ بانه منكر
موضوع لا اصل له . وصاحبنا زاد عليه يحذره الناس ولو انصف
المستدل لعدل عن هذا اللفظ الموضوع الى مارواه البخاري في صحيحه عن
عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا
الاموات فانهم افضوا الى ما قدموا انتهى . ومن طبعه الوقوع في
اعراض الناس يرى لذلك لذة ولا يحلو في ذوقه الا الغيبة والنميمة
واتباع الهوى

قال عن محمد بن سعود . امير الدرعية بلاد مسيلمة . اقول هب اننا سلمنا انها بلاد مسيلمة فما الذي تراه من ذمها أليست مصر كانت بلاد فرعون وهامان وقارون وما الاسكندرية الا من بعض بلاد مصر أليست بابل كانت بلاد نمروذ أليست مكة كانت موطن ابي جهل وابي لهب واضرابهما أليست فلسطين كانت بلاد قوم لوط هل ضر هذه البلاد شيء من ذلك ام هل تناقص قدرها ألم تعلم أن اول من اسس هذا القياس من أخبر الله عنه انه قال « انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين » وما اخالك يارعاك الله الا انك بعد هذا تتبع الحق وتحسن النظر في القضية

قال وممن اخذ عنهم الشيخ محمد حياة السندي والشيخ محمد بن سليمان الكردي وكانا يتفرسان فيه الالحاد ويحذران الناس من دسائسه .

اقول لو انصف الكاتب لعلم انه يطعن في هذين العالمين وذلك ان كلا منهما اجاز ابن عبد الوهاب باجازة مطولة واجاز له ايضاً الشيخ عبد الله بن ابراهيم نزيل المدينة والمشهور بها كما ذكره صاحب كتاب التوضيح عن توحيد الخلاق واخذ ايضاً عن الشيخ اسماعيل العجلوني محدث الديار الشامية والشيخ علي افندي الداغستاني وكلهم اجاز له فكيف يتفرسان فيه الالحاد ويجيزانه ويمدحانه في اجازتهما وهل هذا الا مكابرة الى غير ذلك مما افتراه من غير دليل ولا ثبت

سوى سوء الظن بذلك الرجل فالله يلهمنا رشدنا ويهدينا سواء السبيل

(ادعى ذلك الكاتب انه يتعجب من شرذمة تروج في دمشق العقيدة الفاسدة والاراء المضللة الخ)

اقول يالله العجب هل من يدعو الى الله ورسوله والى عقيدة السلف يعد ضالا مضلا والذي يدعو الى الترهات يعد صالحا على رسلك تمهل وانظر ما كان عليه السلف الصالح والأئمة المجتهدين من الاعتقاد وتأمل مقالات ابي الحسن الاشعري في الابانة وعقيدة الامام الطحاوي وما قاله الامام البيهقي في كتاب الاسماء والصفات وما قاله الامام الذهبي وغيرهم من اساطين العلماء في التوحيد ثم ارجع الى نفسك وقل ما شئت وتأمل ايضاً ما قاله علماء المذاهب الاربعة الموثوق بهم فيما الناس عليه من البدع ثم احكم بما شئت « الم يأتيك والانباء تنمى » بما قاله الامام الشاطبي وابن الحاج في المدخل وابو شامة في كتابه الباعث وابن وضاح وغيرهم من الائمة فان كنت تعد امثال هؤلاء وهابية فيا برد الذي قالت على كبدي

قال . كان ابن عبد الوهاب مولعاً بمطالعة اخبار من ادعى النبوه كاذبا كمسيلمة الكذاب والاسود العنسي وطليحة الاسدي وسجاح وغيرهم وكان يضمر في نفسه دعوى النبوة الا انه لم يتمكن من اظهارها .

اقول (من كان يخلق ما نقول فخيلتي فيه قليلة) ولكني اقول كأن صاحب الرسالة ذهل عن قاعدة إن كنت ناقلا فالصحة او مدعياً فالدليل فان كنت مقلداً لدحلان في نقلك اليس لك ما تميز به بين الغث والسمين فتعلم انه ما نقل عن هؤلاء القوم الا فكاهات تضحك الثكلى ويهزأ بها الطفل الصغير فكيف يقبلها عقل رجل بلغ من الذكاء ان ارجع امة من الجهل الى العمل بالكتابة والسنة وان كنت تنكر عليه بعض مبالغات وجدت في رسائله فانما هي لحكمة تعلمها انت وهي انه اذا تمكنت البدع من النفوس وصعب استأصالها قاومها الناصح بالشدة وهول امرها ليتمكن من قلع اصولها الا ترى الى قوله عليه الصلاة والسلام من اتى عرافا او كاهنا فصدقه بما يقول فقد كذب بما انزل على محمد . ان اساطين العلماء حمله على التغليظ ولا يعاملون من فعل ذلك معاملة الكافر المعاند وانما هول الامر لينكف الفاعل عن فعلته وتأمل امثال ذلك في الكتاب العزيز وفي السنة الغراء فانك تجد الامر جلياً واضحاً وابن عبد الوهاب لما رأى قوماً تمكنت الجاهلية من نفوسهم قبحها اشد تقبيح وهول امرها حتى تمكن من استئصالها وقد وفقه الله تعالى لذلك فيا ايها العزيز الكريم احمل الناس ولا سيما العلماء على احسن المحامل ولا تظن ان رجلا مثل هذا يكفر المسلمين ولكن قل انه سلك مسلك الحديث الآتي من حلف بغير الله فقد كفر أو اشرك في التغليظ وليس يريد كفرا او شركا

ككفر المشركين الخلص وانظر في كتب الصوفية كيف يجعلون الرياء شركا خفياً وطالع كتب المهرة منهم كيف يشددون النكير على من مال قلبه في صلاته الى غير الله تعلم مقاصد العلماء وما اخالك الا انك تعلم ذلك ولكنك لا تريد التكلم به لامر يعلمه الله تعالى واما قولك وكان يضمر في نفسه دعوى النبوة الا انه لم يتمكن من اظهارها فهذه دعوى كشف واطلاع على ما في القلوب فهي بين امرين اما تصريح بالكذب واما مشاركة لله تعالى في قوله يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور فاختر اي الشقين شئت وان كنت مدعياً فعليك الدليل من كتبه التي طبعت في الهند وفي مصر وسارت في الاقطار واما باقي ما نسبته اليه فاشياء التقطتها من افواه الاعداء والرعاع والعاقل لا يقيم لذلك وزنا وهب ان بعضها صحيح فانها جارية على النمط الذي قدمناه ومما يوضح لك افتراء من نسبه الى دعوى النبوة ان الاجتهاد ادنى من دعوى النبوة بلاشك ومع ذلك فانه لم يدع الاجتهاد في الفقه ونادى على نفسه انه مقلد في الفروع للامام احمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه والف في مذهبه كتابا مستمدا من الشرح الكبير لشمس الدين المقدسي ومن كتاب الانصاف للقاضي المرداوي وليس له فيه ترجيح ولا دعوى اجتهاد والكتاب موجود في خزانة الكتب الخديوية في مصر وليس له بعده سوى رسائل تشبه المكاتبات فيالله والانصاف

اما دعواك انه كان يكفر جماعة من اكابر العلماء كالغزالي والشيخ الاكبر والبوصيري فهذا شيء لم نره في كتبه . وهب ان الامر كذلك في حق الاولين فتلك مناقشات تجري بين العلماء ولا يريدون بها الا اظهار الحق وان كنت في ريب من ذلك فانظر ما كتبه البقاعي صاحب التفسير وغيره على كلمة الغزالي « ليس في الامكان ابدع مما كان » وما اعترض به الجم الغفير من فطاحل العلماء على مقالات الشيخ الاكبر وما انتصر به محبوه له . وهذا شأن العلماء فدخول المقصرين بينهم بمجرد الميل القلبي والمحبة دخول على حد المثل العامي (جاء الامراء يحذون خيلهم فمدت الخنفساء رجلها) نعم لك في الدخول عذر وهو انك رأيت العامة يميلون لهذين الرجلين فقصدت القاء عداوة الرجل في القلوب بسببهما مع انه لم يناقشهما ولم يتعرض لهما . وانما المعترض غيره . واما البوصيري فالمتكلم عليه غير ابن عبد الوهاب في رسالة صغيرة مطبوعة في جملة رسائل بمطبع هندي وذلك الرجل لم يتكلم الا على بيت واحد في البردة وهو قوله

يا اكرم الخلق مالي من الوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

وخلاصة الاعتراض انه ناقشه في بحث بياني فقال ان الاستثناء بعد النفي يفيد الحصر وهذا لا تنكره انت ولا غيرك واذا كان الامر كذلك فالبوصيري حصر المطلوب في النبي صلى الله عليه وسلم ولم يتجاوزه الى الله جل وعلا ومثل هذا ينكره السيد الاعظم صلى

الله عليه وسلم وما اخالك تسلم بان يكون الله تعالى في مثل ذلك الموقف العظيم نسيا منسيا وان كنت تحب ذلك فلك رأيك ،

واما ايهامك بانه اعترض على البوصيري في مدح النبي صلى الله عليه وسلم فتلك مغالطة يراد بها التمويه وتضليل الافكار ومثل هذا يستحيل وقوعه من عاقل بعد ان مدحه تعالى في كتابه العزيز فالحذر من تفريق الكلمة بالمغالطات ايها الناصح الامين .

اما دعواك بانه كان يصرح بتكفير الامة منذ ستمائة سنة ويكفر كل من لا يتبعه ويثبت الايمان لمن اتبعه وكان ينقص قدر النبي صلى الله عليه وسلم بعبارات انزه نفسي عن كتابتها . وانه كان يكره الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وانه احرق كثيراً من كتب اهل السنة والحديث الى غير ذلك مما لا اريد ان يكتبه قلمي فبالله عليك تثبت في النقل وكن منصفاً خائفاً من الله عز وجل واعلم بانك محاسب غدا على جميع ما يصدر عنك فان الرجل قد قدم على ربه ولم نجد شيئاً من هذا في كتبه ولا اخبر به الثقات عنه وهؤلاء الذين تدعى انهم من اتباعه اذا خاطبت العامي منهم وجدته اما حافظاً لكتاب الله تعالى جميعه واما حافظاً لاكثره ولوجدته مستحضرا لكثير من الاحاديث المروية في الصحيحين وفي السنن ما لم يستحضره اكبر عالم في مسقط راسك .

واذا قابلت عامتهم بعامة بلادك لم يسعك الا ان تنادي بانهم علماء

فانصف من نفسك ولا تخط بيدك الا شيئاً يسرك في القيامة ان تراه . واذا نقبت عن خزائن الكتب في بلادهم وجدت ا كثرها كتب الحديث الموثوق بها ووجدتها قد ضمت في بطونها تفاسير القرآن الكريم المبنية على الاثر كتفسير الطبري وما كان موجودا قبل طبعه الا في بلادهم وكتفسير بن كثير ذلك الحافظ المشهور وامثال هذه النفائس . ولو تأملت صلاتهم لوجدتهم يجعلون الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ركناً من اركان الصلاة في التشهد الاخير وغيرهم يجعلها سنة فكيف تدعى انهم يكرهون الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بل قد قال كثير من علماء مذهبهم ان الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم واجبة كلما ذكر « واما انه كان يمنع من زيارة الرسول ولا يأخذ باقوال المجتهدين » الى آخر ما ادعيته فاظنك تصورت رجلا خياليا على سبيل التجريد ونسبت اليه ما قلت سامحك الله الم اقل فيما سبق ان له كتابا في الفقه واخبرتك عن محل وجوده فان كنت تحب الحق فاكتب الى من شئت ليتصفح الكتاب ويخبرك هل يجد فيه شيئاً من ذلك على ان من ينكر اقوال المجتهدين لا يؤلف كتابا في مذهب احدهم ولكن بعض الناس اسراء التقليد بعضهم بعضا في النقل من غير تمحيص واذا قام في ذهنهم بغض شخص نسبوا اليه كل نقيصة والصقوا به كل افتراء وليس هذا من مذاهب المسلمين ولا المسيحيين ولا الموسويين على اننا لا ندعي العصمة للرجل ولا ندافع عنه وانما قصدنا اظهار الحق

وكل انسان لا يخلو من هفوات ويابى الله العصمة الا لكتابه غير ان الافتراء شديد الوطأة على العقلاء واكل لحوم الناس موتى نهى عنه الله تعالى في كتابه العزيز بل واي مسلم يمنع من زيارة الرسول فاتق الله ياهذا واترك مسائل قد فرغ منها ودعنا من الترهات والاباطيل .

من انبائك انه كان ينهي عن الدعاء بعد الصلاة وهب ان الامر كان كذلك فانت اقمت له العذر من نفسك وقلت انه كان يقول تطلبون اجراً على الصلاة فاقته مقام العارفين بالله تعالى وانت لا تشعر ولا يعزب عن ذهنك ان هـذا مقام يحوم حوله العارفون حتى نقل عن رابعة العدوية انها كانت تقول «الهي ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك ولـكن عبدتك ابتغاء وجهك الـكريم وقال تعالى «وما امروا الا ايعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء وذلك دين القيمة» واذا دققت اقوال الصوفية الحقيقيين تراهم يجعلون الصلاة لاجل الاجر شركا واظن انك كثيراً ما تذكر هذا في دروسك العامة فـكيف تنكره على غيرك .

تدعي انه كان يحقر الائمة ويقول ان الشريعة واحدة فما بال هؤلاء جعلوها مذاهب اربعة فلو اصغيت لـكلامك وتاملته لدخل ميدان قلبك شيء فأما دعوى التحقير فدعوى بلا دليل واما كون الشريعة واحدة فهذا حق عند كل عاقل فاجعلها انت متعددة ولك الخيار واما ادعاء ان كل مذهب شريعة كما يلوح من خلال كلامك فذلك لا

اصل له ومتى رأيت المذاهب يخالف بعضها بعضاً في الاصول او رأيت احد الائمة يقول الشريعة كذا وكذا ويخالفه الآخر وما الائمة كلهم الا يخدمون شريعة واحدة غاية ما اختلفوا فيه فروع اجتهادية هذا يقول ظهر لي ان الحكم كذا وهذا يقول ظهر لي ان الحكم على خلافه ، وما احد منهم قال ان مذهبي هو الشريعة وخالفه الاخر فقال لا: ان الشريعة هي مذهبي معاذ الله ان يصدر منهم ذلك ، فانت الذي حقرت الائمة لا غيرك

قال بعد ان وصف اكثر اهل جزيرة العرب بالجهل والجفاء وخشونة الطبع اتفق لي ان مفتي تمة وهو عبد الله بن خلف طلب منه ان يقرأ عليه في النحو والصرف فكان يحضره مع صغار الطلبة وكذلك القاضي الشيخ عبد الله بن مرعي قرأ عنده من الكتب العربية ما هو ادنى من كتاب القطر الى اخر ما اطال به

اقول واعجبا من هذا القياس اما ابن خلف فما اكثر المسميين بهذا الاسم في البلاد النجدية وهب انه هو الذي عناه فما هو الا رجل رماه الدهر بمن لا يحسن التعليم اياماً ثم لما لم يجد نفعاً ترك القراءة ففتح الله عليه عند معلم آخر فليت شعري هل قراءة قطر الندى من الذنوب التي لا تغتفر ام قراءته من الافعال التي يعاب فاعلها واما ابن مرعي فانه دمشقي الاصل لا نجدي ولو سلمنا ان هذين من الاغبياء هل يقاس عليهما كل نجدي وهل اذا رأينا عشرة من الاغبياء في الاسكندرية

نجعل اهل الاسكندرية كلهم اغبياء والذي يظهر ان عدم استفادة المتعلم من المعلم يكون اما من عدم معرفة المعلم بذلك العلم واما من عدم اخلاصه فتأمل لكن فات المصنف ان يتذكر قضاة القضوات في سوريا ومفاتيهم كذا ظهر لي والله اعلم

ان المصنف للنفحة ناقض نفسه بنفسه فقال اولا ان ابن عبد الوهاب لما سولت له نفسه ان يبتدع دينا جديداً صنف رسالة فذكر اوصافها ثم قال تقرأ هذه الرسالة فتراها مفعمة بالايات القرآنية الى آخر ماقاله فانظر التناقض فان الذي يستدل بالايات القرآنية لم يبتدع دينا جديداً وانما المبتدع لدين جديد هو من ينبذ القران ظهريا ويجعل العادات والبدع دينا .

ناقض نفسة ثانياً فانه زعم اولا بان صاحب الكشف كفر من يتوسل بالرسول عليه الصلاة والسلام ثم قال ان المسلم المتوسل بالرسول لم يعبده ولم يتخذه الهاً الى آخر كلامه فانظر الى هذا التباين واخبرني من الذي يكفر من يتوسل بالرسول على سبيل التبرك وهل ندد ابن عبد الوهاب وغيره من العلماء الا بمن يلوح من فمه وخلال كلامه اعتقاد ان المتوسل به قادر على النفع والضر وانه يغيث عند الشدائد ويفرج الكربات ويقضي الحوائج ولو انصفت من نفسك ودققت مقالات من يتكلم في هذا الموضوع لناديت بالانصاف ملء فيك وعلمت انهم لم يقولوا الا طبق ما تعتقده في قلبك ولو تأملت الفاظ كثير من

العوام خالية عن نداء الله تعالى ومفعمة بنداء غيره لربما ساءك ذلك فبالله عليك هل كان الصحابة على ما بعض الناس عليه اليوم ام كان عليه التابعون ام الائمة المجتهدون فان جنحتم الى تاويل الفاظ العوام الذين لا يعرفون الحقيقة من المجاز ولا فهموا ان في الكلام محذوفا في قولهم يا فلان بان معناه يارب فلان رددناه بان العبرة في الاحكام بالالفظ الا يرى انه لو قال قائل لزوجته انت طالق ولما دعي الى الحاكم لاثبات الطلاق عليه قال اردت في نفسي ان صعدت الى السماء هل يقبل منه ذلك حكما كذلك من قال عند القيام او غيره يافلان لم يقصد سوى انه ناداه ليعينه ولو فرضنا انه حين ناداه يعلم بانه لا ينفع ولا يضر اليس مقاصد القوم ان يجعلوا العوام معلقين ثقتهم بالله تعالى وان يعودوا لسانهم على ندائه خوفا من ان يتسرب اليهم ماتسرب الى الامم قبلهم ومن قواعد الشرع منع الوسائل خوف الوقوع في المقاصد فمنع من مغازلة الاجنبية خوف الوقوع في الزنا لان المغازلة سبب له الى غير ذلك مما هو معلوم فتأمل وانصف ثم ان صاحب النفحة حكي كلاما طويلا اجاد فيه ولكنه في آخر الامر جرته الحمية الى ان نسب لجماعة من المسلمين انهم يعتقدون بان الله جسم فوقع في اعظم مما وقع به ابن عبد الوهاب لانه ان كان قال ذلك بانهم قالوا هذا القول بطريق الدلالة الالتزامية واعتبرها مقبولة فيقال مثلها في حق من دافع عنهم بان فعلهم يدل على الشرك بطريق الدلالة الالتزامية ونحن لا نوافقه

على ذلك على انه لم يبلغنا ان المشركين اعتقدوا ان الله تعالى جسم فضلا عن المؤمنين تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وان قال ذلك نقلا عن عقائدهم وكتبهم فليبين لنا النقل ثم اتى بالطامة فقال (نعم ان الوهابية لما اعتقدوا ان الله جسم استوى على عرشه في السماء لم تجد للتبرك الذى يقصده المسلمون بتوسلهم معنى غير التقرب الذي يكون للاجسام ،)

اقول كأنه لم يقرأ قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى » حتى قال ان الوهابية نسبوا هذه الصفة لله تعالى فاعترض بانه يلزم من الاستواء الجسمية وحيث ان دلالة الالتزام معتبرة عنده في الاعتقاد يكون قد نسب القول بالجسمية الى سائر السلف حتى الى الصحابة والتابعين والأئمة رضوان الله عليهم بل والى الامام الاشعري فان ذلك الامام صنف اخر امره كتاباً سماه الابانة بين فيه عقيدته والكتاب طبع في مطبع الهند ونقل معظمه الحافظ ابن عساكر في كتابه الانتصار ومما قال الاشعري في هذا الكتاب «وجملة قولنا ان نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نرد من ذلك شيئاً » ثم قال «وان الله مستو على عرشه كما قال الرحمن على العرش استوى وأن له وجهاً كما قال ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وان له يدين كما قال بل يداه مبسوطتان وقال لما خلقت بيدي وان له عينين كما قال تجري باعيننا الى ان قال نثبت لله علما ونثبت لله قدرة كما قال او لم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم

قوة» ونثبت له السمع والبصر ولا ننفي ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية والخوارج ، ونقول ان كلام الله غير مخلوق وانه لم يخلق شيئاً الا وقد قال له « كن فيكون » وانه لا يكون شيء من خير وشر الا ما شاء الله وان احداً لا يستطيع ان يفعل شيئاً قبل ان يفعله الله ، ولا يستغنى عن الله ، ولا يقدر على الخروج من علم الله ، وانه لا خالق الا الله ، وان اعمال العباد مخلوقة لله ، مقدورة له ، كما قال تعالى «والله خلقكم وما تعملون » الى ان قال . وان الخير والشر بقضاء الله وقدره ، وانا لا نملك لانفسنا نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ، واننا نلجأ في امورنا الى الله ، ونثبت الحاجة والفقر اليه في كل وقت ، وندين بان الله يرى بالابصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر ، الى ان قال وندين الله ان الائمة الاربعة راشدون مهديون ، ونصدق بجميع الروايات التي اثبتها اهل النقل من النزول الى السماء الدنيا ، وان الرب يقول هل من سائل هل من مستغفر وسائر ما نقلوه وأثبتوه ونعول فيما اختلفنا فيه على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم واجماع المسلمين وما كان في معناه ، ولا نبتدع في دين الله بدعة لم يأذن الله بها ، ونقول ان الله يجيء يوم القيامة كما قال « وجاء ربك والملك صفاً صفاً » وان الله يقرب من عباده كيف شاء كما قال تعالى « ونحن اقرب اليه من حبل الوريد » وكما قال « فكان قاب قوسين أو ادنى » ثم قال الامام الاشعري في الرد على المعتزلة ودفعوا ان يكون لله وجه مع

قوله « ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » وانكروا ان يكون له يدان مع قوله جل وعلا « لما خلقت بيدي » وانكروا ان يكون له عينان مع قوله تعالى « تجري باعيننا » وقوله تعالى ولتصنع على عيني الى غير ذلك مما ذكره في كتابه الابانة وكأني بمجازف يدعي ان الكتاب المذكور المطبوع في الهند مدسوس على الاشعري ويقيم دليلا على ذلك نسبة التأويل اليه فنقول ان الحافظ علي ابن عساكر من اكثر اتباعه انتصاراً له حتى الف في الانتصار له كتابا سماه تبيين كذب المفتري على الاشعري وقد رأيته في احدى خزائن الكتب في دمشق وقد اثبت ان هذا الكتاب له ونقل منه نحو خمس ورقات ونقل عنه في اثنائها انه قال فان قال قائل قد انكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فعرفونا قولكم الذي تقولون وديانتكم التي تدينون بها؟ قيل له قولنا الذي به نقول وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وما روي عن الصحابة والتابعين وائمة الحديث ونحن بذلك معتصمون وبما قاله احمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته واجزل مثوبته قائلون ولمن خالف قوله مجانبون ثم سرد عقيدته كما تقدم بعضها ثم قال ابن عساكر فتأملوا رحمكم الله هذا الاعتقاد ما اوضحه وابينه فاعترفوا بفضل هذا الامام العالم الذي شرح وبين ثم قال ان اصحاب الاشعري يعتقدون ما في الابانة اشد اعتقاد ويعتمدون عليها اشد اعتماد وانهم يثبتون لله تعالى ما اثبته

لنفسه من الصفات ويصفونه بما اتصف به في محكم الايات وبما وصفه به نبيه صلى الله عليه وسلم في صحيح الروايات وينزهونه عن سمة النقص والافات فاذا وجدوا من يقول بالتجسيم والتكييف فحينئذ يسلكون طريق التأويل خوفا من وقوع من لا يعلم في ظلم التشبيه فان امنوا من ذلك رأوا ان السكوت اسلم وترك الخوض في التأويل الا عند الحاجة احزم

وقد كان الامام ابو اسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني من اعيان اهل الاثر بخراسان قلما كان يخرج الى مجلس درسه الا وبيده كتاب الابانة لابي الحسن ويظهر الاعجاب به ويقول ما ذا الذي ينكر علي من هذا الكتاب شرح مذهبه ثم قال بن عساكر ولسنا نرى الائمة الاربعة الذين عينهم في اصول الدين مختلفين بل نراهم في القول بتوحيد الله وتنزيهه في ذاته وصفاته مؤتلفين وعلى نفي التشبيه عن القديم سبحانه مجتمعين والاشعري رحمه الله تعالى في الاصول على منهاجهم اجمعين هذا كلام بن عساكر وهذه عقيدة الاشعري امام اهل السنة افيمكنك ان تنسب اليه التجسيم من لازم مذهبه وهذا كتاب الله تعالى قد نص على الاستواء فقال «هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات» وقال «ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً» وقال «ان ربكم الله الذي خلق السموات

والارض في ستة ايام يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه » وقال
تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى
وقال الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم
استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً وقال هو الذي خلق السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في
الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم
اينما كنتم والله بما تعملون بصير وقال ابو الحسن الاشعري محتجاً على
الجهمية بقوله تعالى حاكياً عن فرعون قوله يا هامان ابن لي صرحاً
لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى آله موسى واني لاظنه
كاذبا لما قال موسى ان الله فوق سماواته انكر فرعون ذلك وقال ماقال
نقل ذلك عنه في الجيوش الاسلامية فالذين ينكرون ما جاء به القرآن
الكريم من صفة الاستواء انما حذو حذو فرعون في التكذيب وما
ارى صاحب النفحة الا معتزلا يتزيا بزي اهل السنة ليروج مذهبهم
لكنه مقلد لهم غير متقن لقواعدهم واما الاحاديث الواردة في ذلك
فمنها قصة المعراج وهي متواترة واخرج البخاري عن ابي هريرة رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقبض الله الارض يوم
القيامة ويطوي السماء بيمينه ويقول انا الملك اين ملوك الارض الى
غير ذلك من الاحاديث الواردة في الصحاح ومصداق هذا الحديث
قوله تعالى والسموات مطويات بيمينه وقال البخاري قال ابو العالية

استوى الى السماء ارتفع قال العلامة محمود العيني الحنفي في شرح البخاري اختلف العلماء في معنى الاستواء فقالت المعتزلة هو بمعنى الاستيلاء والقهر والغلبة كما في قول الشاعر

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف اودم مهراق

بمعنى قهر وغلب وانكر عليهم بانه لا يقال استولى الا اذا لم يكن مستولياً ثم استولى والله عز وجل لم يزل مستولياً قاهراً غالباً وقال ابو العالية معنى استولى ارتفع وفيه نظر لانه لم يصف به نفسه الى ان قال والصحيح تفسير استوى بمعنى علا على العرش كما قاله مجاهد قال وهو المذهب الحق وقول معظم اهل السنة لان الله سبحانه وتعالى وصف نفسه بالعلا واختلف اهل السنة هل الاستواء صفة ذات او صفة فعل فمن قال معناه علا قال هي صفة ذات ومن قال غير ذلك قال هي صفة فعل هذا كلامه وحيث ان صاحب النفحة يدعي الانتساب للشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه كان عليه ان يتصفح كتاب الغنية فانه يجد الشيخ اثرياً بحتاً حنبلياً على مذهب السلف في الاعتقاد فما ابشع ذلك العقوق ان صحت النسبة ومن كان في ريب من ذلك فليطالع كتاب العلو للعلي العظيم للحافظ الذهبي وكتاب الاسماء والصفات للبيهقي بل عليه بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم واطالة البحث لا تليق بهذا المكان خوفاً من التشويش على العوام لكننا نقول روى اللالكائي في السنة عن ام المؤمنين ام سلمة رضي

الله عنها انها قالت في قوله تعالى الرحمن على العرش استوى الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة والبحث عنه كفر اقول من لم يطلع على كتاب السنة فليراجع شرح البخارى للعيني في كتاب التوحيد فانه يجد ذلك مسطوراً وفي لفظ اخر انها قالت الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والاقرار به من الايمان والجحود به كفر هذا ومثل هذا القول من الصحابي لا يقال من قبل الرأي فيكون له حكم المرفوع وروي يحيى ابن ادم عن ابيه وابن عيينة قال سئل ربيعة الرأي شيخ الامام مالك عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى كيف استوى فقال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق وروى بن عبد البر ان مالكا في التمهيد رضي الله عنه سئل عن الاستواء فقال استواءه معقول وكيفيته مجهولة وسؤالك عن هذا بدعة واراك رجلا سوأ وسئل الشعبي عن الاستواء فقال هذا من متشابه القرآن نؤمن به ولا نتعرض لمعناه وسئل الامام الشافعي ايضاً عنه قال آمنت بلا تشبيه وصدقت بلا تمثيل واتهمت نفسي في الادراك وامسكت عن الخوض غاية الامساك وسئل الامام احمد ايضاً عن الاستواء فقال استوى كما ذكر لا كما يخطر للبشر هذا ومن استبرا لدينه علم ان مذهب الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين والاشعري . وسائر المحققين يثبتون ايات الصفات وما صح عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم ويقولون نؤمن بها ولا نعلم حقيقتها ولا نخوض فيها وكما ان ذاته لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه الصفات هذه هي العقيدة التي اجمع عليها الصحابة والتابعون واهل القرون الثلاثة والائمة المجتهدون واهل الحديث قاطبة والصوفية المحققون كابن عربي في فتوحاته وغيره وآخرهم الامير عبد القادر الجزائري في كتابه المواقف

اولئك آبائي فجئني بمثلهم　　اذا جمعتنا يا جرير المجامع

واعلم ان الحافظ بن عساكر نادى بالحق ملأ فيه فقال اننا معاشر الاشاعرة نذهب كامامنا الاشعري مذهب السلف ومتى تكلمنا مع خصومنا ذهبنا مذهب التأويل لافحام الخصم لا للاعتقاد كما رأيته بمعناه فيما تقدم .

ولما كان مذهب المعتزلة التأول المحض وانكار الصفات وسموا اهل السنة بالتجسيم ونكتوا عليهم في قولهم استوى بلا كيف بقولهم . فتستروا بالبلكفة . وصاحب النفحة اخذته نزغة اعتزاليه فنسب الى من سماهم وهابية ذلك .

واعلم والحق احق ان يتبع ان اولئك القوم لما كانوا على غاية من التمسك بالكتاب والسنة وعلى شدة في انكار المنكر وكانوا فيما مضى حاربوا بعض البلاد قام اعداؤهم يختلقون لهم ما يختلقه العدو لعدوه كما يظهر ذلك في كل زمان واخذ احباب الحق ينصفونهم كالجبرتي وغيره ثم اختلقوا لهم اسم الوهابية ونسبوا اليهم ما يقوله

الرعاع منهم اهل البداوة والجهل فشاع ذلك فيما بين الناس ثم اتسع المكابرون فاطلقوا اسم الوهابية على كل من خالف ما هو مركوز في طباعهم فاطلقوا على الزنادقة هذا اللفظ كما اطلقوه على المبتدعة واشتبه الامر حتى عدوا من هو على مذهب السلف في الاعتقاد منهم ولو تركوا التعصب الذميم واذعنوا للحق لعلموا ان القوم هم في الفروع على مذهب الامام احمد وبه يحكمون ويفتون والى ماقاله يرجعون ولكتب مذهبه وكتب السلف يطبعون وعليها ينفقون الاموال الطائلة مع انهم ليسو باغنياء وليسوا باصحاب ثروة وانهم في الاعتقاد على مذهب السلف وتراهم يحفظون القرآن واحاديث سيد المرسلين وعندهم الامانة في المعاملات والصدق والوفاء ومن كان في شك من ذلك فليسبر احوالهم ومعاملاتهم في الاقطار ولا سيما في دمشق ومصر والعراق والهند وليسأل التجار عنهم فانهم ادرى باحوالهم وهم يشهدون لهم بانهم لا يعاملون احدا بالربا وهم ابعد خلق الله عنه ، ولا يعرفون الخيانة في معاملاتهم ولا يكذبون ويخرجون زكاة اموالهم ، ولا يؤخرون الصلاة عن اوقاتها ، ويحافظون على ما افترضه الله عليهم ، وهم ابعد خلق الله عن البدع المستحدثه ، وينفرون الناس عنها بالشدة ، واما افعال امرائهم والدخول بتلك المضائق فهذا لا دخل لي به ولا انت وما اجمل ما قاله الامام احمد حيث قال لما سئل عما حدث بين الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين هي امور طهر الله منها سيوفنا

فلنطهر منها السنتنا ، فما لنا ولهذا المأزق الحرج الذي يثير الفتنة ويفتح علينا باب واقعة الحرة المشهورة وما جرى ايام بني أُمية وتكون انت ياصاحب النفحة السبب لاغراض تافهة تبتغيها ولمقاصد شخصية تترقبها فاتق الله وكن مع الحق وانا لك من الناصحين

قال صاحب النفحة في صحيفة ١٠ و ١١ ما خلاصته ان من كان فيه خصلة من الكفر لا يكفر حتى تقام عليه الحجة الى ان قال والكفر لا يكون الا بانكار الضروريات .

نقول له اولا لم كفرت انت قوماً يبلغون الملايين من المسلمين بلا دليل ولا حجة ولا برهان ، وهل اقمت عليهم الدليل بالاجماع القطعي ، وهل انت امام او نائب الامام ، ومن الذي اعطاك هذا المنصب ، واقامك ذلك المقام ؟ ثانياً ارجوك ان تتأمل كلامك هنا بعد ان يهدأ روعك ويرجع اليك فهمك وتكون خاليا وحينئذ تنصف من نفسك وتعلم ان كلامك يناقض بعضه بعضاً وتعلم انك بنيت ذلك على التوسل ومن الذي يمنع منه اذا كان على مقتضى ما يقوله الأئمة رضوان الله عليهم . ثم تأمل اقوال السادة الحنفية ، والشافعية ، والمالكية فيما عليه اكثر الناس اليوم واترك المجازفة فاني لا اراك بعد ذلك الا ان تنصف من نفسك ثم تقرأ قوله تعالى (الا لعنة الله على الكاذبين)

واما قولك « وبالجملة فان ابن عبد الوهاب وجماعته الذين تمذهبوا بمذهبه ديدنهم تكفير المسلمين الذين على كرة الارض لتوسلهم بجاه نبيهم وغيره وانقليدهم الأئمة ولزيارتهم لقبور الانبياء والاولياء حتى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ » نقول لذلك الفاضل من اين علمت انهم يكفرون المسلمين وفي اي كتاب وجدت ذلك فان كان في كشف الشبهات فحاصله تكفير من اعتقد ان مخلوقاً يشارك الله تعالى في صفاته وافعاله وحاشا ان يكون المسلمون في جميع اقطار الارض يعتقدون ذلك وانت لا تخالف في هذا بل هو ثابت في كلامك ، واما كونه صرح بكفر جميع المسلمين فهذا شيء لم يقله احد ، وانت مطالب بالدليل لكن بعد الهدو والتأمل ولا اخالك تظفر بذلك والله احكم الحاكمين ، واما كونه كفرهم لتقليدهم الأئمة — فاظنك اخبرت عن قوم صورتهم في مخيلاتك ليس لهم وجود في الخارج الم ننبئك بان ابن عبد الوهاب له كتاب في الفقه لم يتجاوز به مذهب الامام احمد في مسألة من المسائل فكيف يكون مقلداً ويكفر المقلدين ؟ واخبرناك بان الرجل ليس بمجتهد ولا ادعى الاجتهاد فان كنت ترى ان بعضا من الناس ادعى الاجتهاد ثم سميته وهابيا فهذا اصطلاح خاص بك والقوم براء من ذلك ، واما ما نسبته الى اتباع بن عبد الوهاب من انهم يكفرون من كان مقلداً —

فذلك امر وهي كيف وهم ينفقون الاموال الطائلة على طبع كتب الامام احمد ويجعلونها وقفا وهي الان بايدي الناس وهذا الامير ابن سعود نفسه امر بطبع « كتاب المغنى » وهو اعظم كتاب في الفقه على نفقته ليجعله وقفا وهذا كتاب « الفروع لابن مفلح » الذي جمع غالب اقوال اهل المذاهب يطبع الان في مصر فهل احد من مقلدة المذاهب طبع كتابا في مذهبه وجعله وقفا لمن ينتفع به وفيهم من تقاوم ثروته ربع ثروة اهل نجد ؟ واما انهم يكفرون بالزيارة — فهذا كذب لا اصل له ولم يسطر في كتاب احد منهم ولا قال عالم من علمائهم غاية الامر ان مسألة شد الرحل مسألة اجتهادية تكلم بها العلماء من جميع المذاهب من قبل ان يخلق ابن عبد الوهاب واتباعه بمئات من السنين ومن كان في شك فليراجع شروح الصحيحين في حديث لا تشد الرحال فانك ترى العلماء مختلفين منهم من قصر منع الشد على المساجد ومنهم من قاس عليها زيارة القبور والخلاف في ذلك حتى قبل ابن تيمية وابن القيم ، واما الزيارة — فانها بمعزل عن ذلك الخلاف « ولا سيما زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم » فلا تظن ان احدا يدين بدين الاسلام يقول انها مكروهة فضلا عن ان يقول انها محرمة وكتب الفقه تشهد بذلك ، واما المصطفى صلى الله عليه وسلم فلا تظن ايضاً ان احدا من المسلمين على كرة الارض يهم بتنقيصه او ببغضه كيف وفي مذهب الحنابلة

ان شاتم الرسول يقتل تاب او لم يتب واما قولك انهم يكفرون جميع المسلمين لزيارتهم الانبياء والاولياء — فان هذا منك اما نوع من الماليخوليا واما رقة دين تريد ان تخدع بها افكار العوام بالتمويه لتحصل على جلب مال او على لقمة تأكلها وقت العشاء ، وما اظن ان احدا عنده نوع من الادراك الا ويفهم مقاصدك وينتبه لها اللهم الا من كان بحيث لا يفهم ما يقول ولا ما يقال فانها ضرب من المحال

ثم قال وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء الخوارج في احاديث كثيرة فكانت من اعلام نبوته منها قوله عليه الصلاة والسلام الفتنة من ههنا الفتنة من ههنا واشار الى المشرق . وقوله ايضا يخرج ناس من قبلى المشرق يقرأون القرآن . لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يعودون فيه حتى يعود السهم الى فوقه سيماهم التحليق . وفي رواية هم شر الخليقة طوبى لمن قتلهم وقتلوه يدعون الى كتاب الله تعالى وليسوا منه في شيء

اقول — ادعيت فيما سبق ان ابن عبد الوهاب عمد الى آيات نزلت في حق المشركين فحولها الى غيرهم ثم لم تلبث ان وقعت في مثل ما عبت به وذلك لوجوه — اولها انك اخذت من اشارته صلى الله عليه وسلم الى المشرق انه اشار الى نجد والنبي صلى الله عليه وسلم لما اشار تلك الاشارة كان بالمدينة وليست نجد شرقي المدينة وانما هي الى الجنوب

منها وانما الذي يسامتها الى الشرق العراق ولا يخفاك ما وقع في العراق من الفتن التي مبدأها الحروب بين علي رضي الله عنه ومن ناوأه ثم واقعة الحسين بن علي رضي الله عنه الى غير ذلك مما لا اريد ان اعدد فاثير على الناس حزنا فان هذا يهمني وان كان لا يهمك . ثانيها — ان الشرق اسم عام نهايته مطلع الشمس وقد ظهر فيه فتن كثيرة كفتنة جنكيز خان وهولاكو ومن بعده من التتار واستطال الامر وقتلت الالوف المؤلفة من المسلمين كما يعلم ذلك من له اطلاع على التاريخ فما الذي حملك على ان تخصه بارائك المساكين الذين يضربون في الارض ليحصلوا قوتهم من حلال . فان قلت انهم احتلوا المدينة وفعلوا وفعلوا — اقول لك اذا سبرت الصحيح وتخليت عن التشفي رأيت ان ما فعلوه اقل مما فعله صاحبك ابراهيم باشا في سورية وغيرها من البلدان ولعل احد اجدادك كان جنديا مع طوسون باشا فقتل في حروبه فنقمت على اولئك القوم كما نقم عليهم السيد دحلان زاعما انهم قتلوا اجده فاتق الله يا هذا ثالثها — ان الشرق يومئذ كان مسكن الاديان المتباينة كالمجوس وغيرهم ولما فتح اندس كثير من الزنادقة بين المسلمين واظهروا الاسلام واخترعوا الاحاديث الموضوعة وخلطوها بالاحاديث الصحيحة واسسوا من البدع التي تسعى في احيائها ما زلنا نتعب في مناهضتها الى اليوم والى ما بعده واظما علماء الحديث نهارهم واسهروا ليلهم حتى انتشلوا تلك الموضوعات كما تنسل الشعرة من العجين ولعل هذا الذي دعاك الى

الانتقام فانتبه رحمك الله ولا تكن ممن تحلو في ذوقه البدع ، وسر مع الحق كيفما سار فسنة نبيك اولى من الابتداع ، وكن صالحا حقا فان زمنك محتاج الى المرشدين المخلصين ، واذا رأيت قوما مالوا فادعهم الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، واترك التشفي جانبا فانه ليس من اخلاق العلماء والعجب ممن يرى مسلما قد تزيا في لباسه بزي المشركين فيقيم عليه النكير ويكفره ثم اذا رآه يفعل افعال المشركين يملأ الارض صراخاً بالمدافعة عنه ويحسن افعاله وتارة يحمل كلامه على المجاز العقلي في الوقت الذي يكون فيه المدافع لا يفهم شروط ذلك المجاز فضلا عن العامي فانتبه والله يتولى هداك

واما حديث يخرج ناس من قبل المشرق الخ — فانت اطلقته بلا زمام ولا خطام واعلك وجدته مسطوراً في كتب دحلان التي انتحلتها وسميتها باسمك . وايا ما كان فان المشرق مبهم فيما نقلته ويفسره ما رواه البخاري في الصحيح قال (حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا عبد الواحد حدثنا الشيباني حدثنا يسير بن عمرو قال قلت لسهل بن حنيف هل سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الخوارج شيئاً قال سمعته يقول واهوى بيده قبل العراق « يخرج منه قوم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام مروق السهم من الرمية » وهذا الحديث اخرجه مسلم في الزكاة والنسائي في فضائل القرآن ومنه تعلم ان الحديث في الخوارج الذين قاتلهم علي

رضي الله عنه يوم النهروان لا في اهل نجد ، وفي رواية للبخاري يخرج في هذه الامة ولم يقل منها ، وفي رواية للبخاري قال ابو سعيد اشهد ان علياً قتلهم وانا معه وذلك يؤيد انهم هم الخوارج الذين قالوا كفر علي وكفر معاوية ، فدعنامن اشياء مفروغ منها وقد تكلم عليها من قبلنا بما يكفي ويشفي

واما حديث اللهم بارك لنا في شامنا الخ — فانا ادلك على من اخرجه اخرجه الترمذي فقال (حدثنا بشر بن آدم ابن بنت ازهر السمان حدثني جدي ازهر السمان عن ابن عون عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا » قالوا وفي نجدنا قال « اللهم بارك لنا في شامنا ، وبارك لنا في يمننا » قالوا وفي نجدنا قال « هناك الزلازل والفتن وبها اوقال ومنها يخرج قرن الشيطان » قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه من حديث ابن عون وقد روى هذا الحديث ايضاً عن سالم بن عبد الله بن عمر عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم اه

اقول بشر بن آدم قال ابو حاتم ليس بقوي ، وقال النسائي لا بأس به وذكره ابن حبان في كتاب الثقات ، وباقي رجاله ثقات

وادلك ايضاً على معنى الحديث واقول لك لا تفسر الاحاديث الا على مصطلح العرب زمن النبوة فقد نقل العيني عن الكلبي في

اسماء البلدان قال «نجد ما بين الحجاز الى الشام الى العذيب الى الطائف فالطائف من نجد وارض اليمامة والبحرين الى عمان» وقال ابو عمرو الشيباني «نجد ما بين جرش الى سواد الكوفة وحده مما يلي المغرب الحجاز وعن يسار الكعبة اليمن ونجد كلها من عمل اليمامة» وقال ابن الاثير «نجد بين العذيب الى ذات عرق والى اليمامة والى جبل طيء والى وجرة والى اليمن» والمدينة لا تهامية ولا نجدية فانها فوق الغور ودون نجد. وقال الحازمي «نجد اسم للارض العريضة التي اعلاها تهامة واليمن والعراق والشام» وقال السكري «حد نجد ذات عرق من ناحية الحجاز كما تدور الجبال معها الى جبال المدينة وما وراء ذلك ذات عرق الى تهامة» وقال الخطابي «نجد ناحية المشرق ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها وهي مشرق اهلها» — فقد اعلمناك اختلاف العلماء في نجد. وحيث ان النبي صلى الله عليه وسلم تكلم بذلك وهو بالمدينة ومشرق اهلها ونجدها بادية العراق كما قاله ابو سليمان الخطابي فيكون المقصود من الحديث بادية العراق ولا يخفاك ما حصل بها من الزلازل والفتن كواقعة صفين وغيرها، وكواقعة الحسين بن علي رضي الله عنهما وما كان بها من الفتن والحروب بعد ذلك وعلى قول الكلبي ان الطائف من نجد فيكفيك انه خرج منها الحجاج بن يوسف الثقفي وما فعل وكيف رمى الكعبة بالمنجنيق وكان امر الحجاج معروفاً قبل وجوده فروى ابن عساكر

ان عليا رضي لله عنه لما انتقض عليه امر العراق كان يقول « اللهم سلط عليهم غلام ثقيف يحكم في دمائهم واموالهم ويحكم فيهم بحكم الجاهلية » واخباره معلومة وروى مسلم والترمذي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثقيف كذاب ومبير وله في تاريخ ابن عساكر ترجمة مطولة فيها العجائب فمن اين لك اختصاص الحديث فيما صورته لك مخيلتك من جغرافية نجد وقلت لك مراراً دعنا من الطعن والعناد حتى لا يفتح الناس علينا ابواباً من تاريخنا الماضي لا نقدر على تغايته واذا ذكرونا بواقعة الحرة ما يكون جوابنا فان اجهل الناس من ينسى عيوب نفسه ويقع في عرض غيره، ثم بعد هذا وهذا قل لي ما تقول في الحديث الصحيح عن ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان قد يئس ان يعبد في جزيرة العرب ونجد من تلك الجزيره ولكن اتباع الهوى من اكبر البلوى ولا اشد ضرراً على الانسان من ميله الى الهوى واتباعه وقد روى الامام احمد في المسند (عن ابي الدرداء قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نتذاكر ما يكون اذ قال رسول الله صلى لله عليه وسلم « اذا سمعتم بجبل زال عن مكانه فصدقوا واذا سمعتم برجل تغير عن خلقه فلا تصدقوا به وانه يصير الى ما جبل عليه »

اما ما ذكرته من التحليق — فذلك « كلام خرافة يا ام عمرو »

قال في النفحة (ومن الاحاديث قوله عليه الصلاة والسلام يخرج آخر الزمان في بلد مسيلمة رجل يغير دين الاسلام وقوله صلى الله عليه وسلم سيظهر من نجد شيطان تتزلزل له جزيرة العرب من فتنته الى غير ذلك من الاحاديث التي ذكرتها العلماء) — اقول سلمنا انك اجترأت على القوم ونسبت اليهم من الافك مانسبت ولكن هل بلغ بك الحال ان تكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد علمك بقوله « من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » وهذا الحديث اجمع المسلمون على صحته وتواتره وقال النووي في شرح مسلم تحرم رواية الحديث الموضوع على من عرف كونه موضوعاً وغلب على ظنه وضعه فمن روى حديثاً علم وضعه فهو مندرج في الوعيد وقال السيوطي لا اعلم شيئاً من الكبائر قال احدٌ من اهل السنة بتكفير مرتكبه الا الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الجويني نخرجه بذلك عن الملة وتبعه على ذلك طائفة منهم ابن المنير المالكي وكان عليك ان تذكر من روى تلك الاحاديث وتبين من خرجها من الائمة وفي اي كتاب موثوق به وجدت ومن روى هذه الاحاديث من الصحابة على اننا قد بينا لك ماهو المقصود من نجد فقل ماشئت بعد ذلك سامحك الله وليكن خصمك من افتريت عليه وسم" ماشئت اجماعا وهول ماشاءت لك نفسك ان تهول .

قال (ويجدر بنا ان نذكر هنا خلاصة ما تمذهبت به الوهابية التي

اشتملت عليه عقيدتهم عشرة اشياء — اولها اثبات اليد والوجه والجهة للباري وجعله جسما يصعد وينزل) — هذا اعظم ماتمسك به ذلك المعترض ، وقد علمت فيما سبق عقيدة السلف فالوهابية لم يثبتوا ذلك وانما اثبته الله تعالى لنفسه غاية الامر ان الوهابية كغيرهم من السلف يؤمنون بذلك ويكلون علمه الى الله تعالى من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل وبذلك نطقت كتب عقائدهم ولقد كانت المعتزلة ترمي اهل السنة بانهم مجسمة وذلك مسطور في كتبهم وصاحبنا سلك هذا المسلك فاذا كان المؤلف ينكر اثبات تلك الصفات لله تعالى فلينكر على من اثبتها واما الجسمية فمحال ان يعتقدها مسلم ومن ادعاها لامة مسلمة فعليه ان يبرهن عليها بنقل من كتبهم لا بمجرد الافك والافتراء

قال — (ثانيها تقديم النقل على العقل وعدم جواز الرجوع اليه في الامور الدينية)

اقول — لا يعلم من معنى النقل الا ما نقل من كتاب الله وسنة رسوله فاي ذنب لقوم يقدمون كتاب الله وسنة رسوله على الرأي الفاسد وخصوصاً في معرفة الله تعالى واثبات صفاته التي يظل العقل حائراً فيها كما حار الفلاسفة الاقدمون والقرامطة ولو سلمنا ان مراده بالنقل ما ينقل عن كتب الائمة فكذلك العقل لا يقدم على النقل عنهم ولعل المؤلف اداه اجتهاده الى تقديم العقل على كتاب الله وسنة رسوله واقوال الصحابة والائمة الكرام فحينئذ يكون اجتهاده له ولا

نظن ان احداً من علماء المذاهب يوافقه على ماداه اليه اجتهاده ولو كانت الشرائع تدرك بالعقل لما ارسل الله الرسل وانزل الكتب ولعل صاحبنا ينصر مذهب البراهمة المنكرين للنبوات ؟ واما قولك انه حظر على الناس استعمال العقل ثم هولت بما هولت به فان الرجل لا كلام له الا في التوحيد ولا تطرق الى ذكر اسرار الشريعة بل لزم الادب مع غيره من كبار أئمة الاسلام ومن ادعى غير ذلك فهو مطالب بالبيان

قال — (ثالثها نفي الاجماع وانكاره)

اقول — ان كان مرادك بالاجماع الذي ينكره هؤلاء اجماع العوام وما انت وهم عليه الآن فهذا باطل من وجوه — اولها انه لا عبرة باجماع العوام على فرض وقوعه . — ثانيها ان العوام كلهم لا يوافقونك على ما لفقته وادعيته . — ثالثها ان عقيدة العوام اذا سبرناها ودققناها نجد اكثرها كما قال الله تعالى « فطرة الله التي فطر الناس عليها » وان اردت بالاجماع الاجماع المعروف في فن الاصول فالبحث عنه وظيفة المجتهد وهم لم يدعوا الاجتهاد فان قلت ان علماءهم انكروه قلنا هذه كتب اصول الفقه بين ايدي الناس فاخبرنا في اي كتاب صرح واحد منهم بنفي الاجماع ثم ائتنا بمسألة واحدة خالفوا فيها الاجماع او بمثال واحد تثبت به ما ادعيته .

قال . — رابعاً نفي القياس .

اقول . — هذه كالتي قبلها فنقول له اذا اردت به نفي قياس الخالق على المخلوق وهو الذي يلوح من خلال كلامك فهذا ينكره كل مسلم بل وكل عاقل على كرة الارض ونسبتك انكار ذلك الى القوم مدح لا يقابله مدح قال تعالى « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » وان اردت به القياس الاصولي الذى هو « الحاق فرع باصل بعلة جامعة » فهذا ايضاً وظيفة المجتهد والمقلد معزول عن هذه المباحث بالكلية لا حظ له الا الاخذ بقول من قلده ولا يطالب ببرهان ولا بدليل وان كنت مدعياً الاجتهاد فخاطب بالاجماع وبالقياس المجتهدين لا العامة الذين ليست هذه المناقشات من وظيفتهم ولا هم مطالبون بها ، ولله درك حيث انزلت اولئك القوم منزلة المجتهدين ثم اخذت تناقشهم فلك الفضل في ذلك لكن اثبت اولاً توفر شروط الاجتهاد فيك ثم تكلم لان المحققين قالوا لا يناظر مجتهداً الا مجتهد مثله

قال خامساً . — (عدم تقليد المجتهدين وتكفير من قلدهم)

اقول . — ان اردت بذلك انهم ينكرون تقليد امثالك من المجتهدين فهذا يمكن ان ينسب اليهم ، وان اردت انهم ينكرون تقليد المجتهدين حقيقة فهذه بلادهم من اقصاها الى ادناها لا يحكم قضاتهم ولا امراؤهم الا بمذهب الامام احمد رضي الله عنه لا يتعدونه قيد شبر ولا قانون عندهم ولا نظاما غيره وهم يقيمون الحدود

طبق الشرع وكلهم يصلون ويزكون ويحجون ويحفظون القرآن الكريم والاحاديث الصحيحة من سنة سيد المرسلين واذا سبرت مشارق الارض ومغاربها لا تجد عملا بالشرع في الاحكام باقياً على حاله من جميع الوجوه الا في بلادهم فكيف يكفرون انفسهم وهم مقلدون وان اردت التقليد في العقائد فهذا محل خلاف وانا ادلك على شرح الجوهرة فراجعه فليتق الله المصلحون

قال سادساً — (تكفيرهم كل من خالفهم من المسلمين)

— هذه دعوى بلا دليل ولا برهان ايضاً ومغالطة ولو دقق النظر لعلم انهم لا يكفرون احداً من المسلمين ولكنهم يشددون النكير على من جعل الهه هواه واطرح كتاب الله وسنة رسوله ظهرياء وينكرون بدعاً لم تكن زمن الصحابة ولا زمن التابعين والائمة رضوان الله عليهم ويقولون ان مثل هذا شرك ويحذرون الناس منه وهذه المزية ليس لهم فقط بل هي لكل مؤمن يحافظ على شريعة نبيه صلى الله عليه وسلم وتلك الفئة تومن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاء من عند الله وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير تأويل ولا تحريف ولا تبديل ولا تشبيه وهذا يجب على كل مسلم ان يعتقده ولا شك ان كل من حاد عن هذا المعتقد لا يعد مسلماً فهل تريد انت ان تخالف في ذلك فالله يتولى هدانا اجمعين

قال سابعاً — (النهي عن التوسل الى الله تعالى بنبي او ولي)

اقول هذه المسألة الفت فيها التآليف من قبلك من الجانبين وفرغ منها ، ولكن جرد عن مخيلتك اقواماً توهمت انهم وهابية واذعن للحق حتى اقول لك ان محبة الرسول صلى الله عليه وسلم لا تكون الا باتباع سنته وعلماء اولئك القوم مرنوا انفسهم على ذلك فلا يقنعون الا بما قاله الله تعالى اوقاله رسوله صلى الله عليه وسلم وهذا هو تمام المحبة وفي الصحيح ان الناس اجدبوا على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاستسقى بالعباس واستسقى معاوية بيزيد بن الاسود واخرج البخاري — في المناقب من صحيحه عن انس رضي لله عنه ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانوا اذا قحطوا استسقى بالعباس ابن عبد المطلب فقال اللهم كنا نتوسل اليك بنبينا صلى الله عليه وسلم فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا قال فيسقون انتهى قال المحققون ومنهم الشيخ مرعي الكرمي في شفاء الصدور المراد انهم توسلوا بدعاء العباس وشفاعته وليس المراد اننا نقسم عليك به وقد اشار الى نحو هذا العيني والقسطلاني في شرح البخاري والى ان عمر قدم العباس رضي الله عنهما على نفسه في الدعاء وان العباس كان هو الداعي واما حديث « اذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فان جاهي عند الله عريض » فهو حديث كذب مفترى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انني انقل لك بعضاً من كلام علماء الحنابلة في كتب فقههم قال ابن مفلح في كتابه الفروع « ويجوز التوسل بصالح وقيل يستحب »

قال احمد رضي الله عنه في منسكه الذي كتبه للمروزي انه يتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في دعائه وجزم به في المستوعب وغيره وجعلها شيخنا يعني شيخ الاسلام ابن تيمية كمسألة اليمين به قال والتوسل بالايمان به وطاعته ومحبته والصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم وبدعائه وشفاعته ونحوه مما هو من فعله او افعال العباد المأمور بها في حقه مشروع اجماعاً وهو من الوسيلة المأمور بها في قوله تعالى اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وقال الامام احمد وغيره في قوله اعوذ بكلمات الله التامة من شر ماخلق الاستعاذة لا تكون بمخلوق وقال ابراهيم الحربي (من اصحاب احمد) الدعاء عند قبر معروف الترياق المجرب وقال شيخنا يعني ابن تيمية قصده للدعاء عنده رجاء الاجابة بدعة لاقربة باتفاق الائمة وقال ايضاً يحرم بلانزاع بين الائمة وقال ابو الوفاء علي بن عقيل البغدادي في كتابه الفنون لا تخلق القبور بالخلوق والتزويق والتقبيل لها والتوسل بهم الى الله قال ولا يكفيهم ذلك حتى يقولوا بالسر الذي بينك وبين الله واي شيء من الله يسمى سراً بينه وبين خلقه قال ويكره استعمال النيران والتبخير بالعود والابنية الشاهقة الباب . سموا ذلك مشهداً واستشفعوا بالتربة من الاسقام وكتبوا الى التربة الرقاع ودسوها في الانقاب فهذا يقول جمالي قد جربت . وهذا يقول . ارضي قد اجدبت . كانهم يخاطبون حيا ويدعون الهاً » انتهى وابن عقيل توفي سنة ثلاث عشر وخمسمائة فهل

تقول عنه كان وهابياً وقال في المنتهى « ويسن التوسل بالصالحين » وقال في الاقناع « ولا بأس بالتوسل بالصالحين » وقال ابو عبد الله محمد الرعيني المعروف بالحطاب المالكي في شرحه لمختصر خليل قال مالك أنكر ابو مسلمة على رجل رآه قائماً عند المنبر رفع صوته بالدعاء ورفع يديه قال ابن رشد انما انكر الكثير منه لانه فعل اليهود

هذه نقول علماء تلك الفئة التي تزعم انهم ينهون عن التوسل فتأملها ثم قل ماشئت

قال ثامنها — تحريم زيارة قبور الانبياء والصالحين

انا لا اطيل معك الكلام في هذا الموضوع ولكن احيلك الى كتب السادة الحنفية هل تجد فيها ان البدع الموجودة اليوم في الزيارة يجيزها احد منهم واما مطلق الزيارة فما سمعنا ان احدا حرمها غير اناس وجدوا في مخيلتك وليس لهم وجود في الخارج فان كنت تجيز الحكم على المعدوم فقل ما شئت

قال تاسعها — (تكفير من حلف بغير الله وعده مشركا)

اقول — اتفق العلماء على انه لايجوز الحلف الا بالله او بصفة من صفاته وفي الصحيحين عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع عمر رضي الله عنه وهو يحلف بابيه فقال ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله ، وقال الترمذي في جامعه حدثنا قتيبة حدثنا ابو خالد الاحمر عن الحسن بن عبيد الله عن سعد بن عبيدة ان ابن عمر

سمع رجلا يقول لا والكعبة فقال ابن عمر لا يحلف بغير الله فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من حلف بغير الله فقد كفر او اشرك » قال الترمذي هذا حديث حسن فانظر ياصاحب النفحة على من تعترض فان قلت حمله بعض العلماء على التغليظ قلنا واحمل قول من تردعليهم على التغليظ وهنالك يرتفع النزاع والظاهر ان هذا الرجل من بعض الفرق الذين يجوزون وضع الاحاديث نصرة لمقالتهم ومن الذين يحرفون القرآن حسب مشتهياتهم واغراضهم ويسمونه تاويلا ليقضوا على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما ظهر لك مما تقدم وكما يظهر لك من قوله

عاشراً — (تكفير من نذر اوذبح لغير الله عند مراقد الصالحين) — هذا افتراء من جهة واجتهاد جديد منه غير انه مصادم لقوله تعالى « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به» الاية فالله تعالى حرم ما اهل لغيره به ولم يخصص ذلك بمراقد الصالحين ولا بغيرهم وقد عد هذا الفاضل تحريم ذبح ما اهل به لغير الله ذنبا وعلى مقتضى اجتهاده ان ذلك قربة تخالف الكتاب والسنة والاجماع وكلامه في هذا المقام غني عن بيان زيفه ومنه تعلم ان هذا الشيخ تأخذه الحدة حتى لا يعلم ما يقول ولعله يصل الى درجة يسقط عنه بها التكليف والله يتولى الاعانة

قال — (ان الوسيلة كل ما يتقرب به الى الله تعالى)

نقل في هذا المقام كلاما طويلا يناقض بعضه بعضاً ونحن نغضي عنه لكثرة ماالف فيه من التاليف ثم نقض ذلك بقوله الوسيلة كلما يتقرب به الى الله تعالى وعلى زعمه ولو كان شجراً او حجراً او تراباً او بناء او وثناً او صنما ولم يعلم انه لا يتقرب الى الله تعالى الا بما امر الله تعالى به وصح الامر به عن نبيه صلى الله عليه وسلم « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » واما تلك البدع التي يريد ان يجعلها سنة فكل مؤمن ينكرها عليه وعلى غيره وفطرة الله التي فطر الناس عليها تأباها ثم ان باقي ما ذكره في رسالته قد كثر فيه القيل والقال وكثرت فيه المؤلفات والردود وقد اسلفنا لك قول بعض أئمة الحنابلة في ذلك فلا حاجة لنا في الاطالة هنا وعلى الله قصد السبيل

النفخة الثانية

الحمد لله وحده ، وصلى الله على من لا نبي بعده ، وبعد فان رسالة المنحة لما سماها ، صاحبها المنحة الالهية ، وكانت المنح الربانية لا تكون الا بالحق لا جرم حداني البيان الى مناقشته في اشياء لا يحق لها ان تسمى منحة الهية كما سيرى ذلك من له قلب او القى السمع وهو شهيد

استدل بقوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين الاية

اقول — أليس سبيل المؤمنين هو سبيل الرسول صلى الله عليه

وسلم وسبيل الصحابة والتابعين وما درج عليه اهل القرون الثلاثة وكلهم كانوا يؤمنون بايات الصفات على قاعدة قوله تعالى ليس كمثله شيء من غير تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل كما او ضحنا ذلك فيما سلف هذا هو سبيل المؤمنين واما تلك البدع التي تحوم حول تاييدهافاخبرنا متى كانت في زمان السلف وفي اي دقت حسنوها ولو منح الله تعالى ذلك الكاتب منحة إلهية لعلم ان الاية دليل عليه لا له وهذا كتاب الله ينطق بالحق وهو الحكم قال تعالى (قل ارأيتم ما تدعون من دون الله ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا او اثارة من علم ان كنتم صادقين ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون)

قال (لو كانوا كما يزعمون انهم على الحق لما حاربوا اهل الايمان في بيت الله الحرام وارتكبوا اعظم القبائح بقتلهم الناس حين دخلوا الطائف قتلا عاما حتى استأصلوا الكبير والصغير الى اخر ما قاله

نقول هذه قضية تاريخية وليس احد من المؤرخين سواء كان من اعدائهم اومن غير اعدائهم قال انهم قاتلوا في البيت الحرام ولا دخلوه في قتال اللهم الا ما كان من دحلان فانه زعم انهم قتلوا جده لامر ما فاشتد حنقه عليهم مع انه ذكر في كتابه اشياء كثيرة من قتل ونهب وغارات الصقها بامراء البيت الحرام وناقضه الجبرتي وما

وسعه الا التكلم بالحق وانا ان شاء الله سنفرد جميع ماذكره الجبرتي في رسالة ليظهر انك المفتري فان كان يزعم ان الطائف من الحرم فذلك اجتهاد منه ولكن طاش سهم الكاتب ومن يتأمل كلامه بانصاف تظهر له المناقضات والتحامل لا سيما في قوله انهم احرقوا المصاحف والصحيحين وغير ذلك . ثم اني ادل القارئ على من فعل ذلك الفعل الذي نسبه لغير اهله معتمداً على اصح الكتب التاريخية ولا اتجرأ على نسبة فعل لغير فاعله خوفا من الله تعالى الذي قبح الكذب والافتراء واعد لصاحبه ما اعد

اقول وكنت اود ان يكون ذلك الخبر مطويا لكن جراءة ذلك الكاتب ووقاحته اوجبت ذلك (قال الامام الفقيه ابن قتيبة في كتابه الامامة والسياسة ان يزيد بن معاوية لما ولي الملك وامتنع اهل مكة والمدينة عن بيعته اجمع على ارسال الجيوش اليهما فعسكر من بلده وعرض الاجناد فلم يخرج معه اصغر من ابن عشرين ولا اكبر من ابن خمسين وكان الجيش على خيل عراب وسلاح شاك وجعل على الجيش مسلم بن عقبة وارسل معه عشرة آلاف بعير تحمل الزاد واوصاه ان يتخذ المدينة طريقا الى ابن الزبير وهو بمكة وقال له ان صدوك او قاتلوك فاقتل من ظفرت به منهم وانهبها ثلاثا قال ابن قتيبة وذكروا ان اهل الشام لما انتهوا الى المدينة عسكروا بالجرف واحدقوا بها من كل ناحية وخلاصة الامر انهم دخلوا المدينة بحيلة من بعض اهلها

فاقتتلوا مع اهلها وجعل مسلم يقول من جاء برأس رجل فله كذا وكذا
فجعل يغري قوما لا داين لهم فقتلوا وظهروا على اكثر المدينة وقتلوا البشر
بن حنظلة ومحمد بن عمرو بن حزم الانصاري فرؤي بعد قتله ساجداً ثم دخل
الجيش المدينة فجالت خيولهم فيها يقتلون وينهبون وقتلوا عبد الله بن زيد
بن عاصم وكان يومه صائما فضربه رجل من اهل الشام بفاس بيده
فخرج منه نور ساطع في السماء وقتل عبد الله بن حنظلة فرؤي بعد موته
ماداً اصبعه السبابة وابراهيم بن نعيم فغطى فرجه بيده وعبد الله بن
زيد صاحب حديث الاذان ودخلوا دور بني الاشهل فما تركوا في
المنازل من اثاث ولا حلي ولا فراش الا نقد صوفه حتى الحمام والدجاج
كانوا يذبحونها ونتفوا لحية ابي سعيد الخدري وضربوه ضربات ثم
اخذوا كلما وجدوه في بيته والرجل لم يخرج لقتال وكان سعيد بن
المسيب لم يبرح من المسجد ولم يكن يخرج الا من الليل الى الليل
وكان يسمع اذا جاء وقت الاذان اذانا يخرج من قبل القبر الشريف
وبلغ عدد قتلى الحرة يومئذ من قريش والانصار والمهاجرين ووجوه
الناس الفا وسبعمائة ومن وسائرهم من الناس عشرة آلاف سوى النساء
والصبيان ودخل رجل من اهل الشام على امرأة نفساء من نساء
الانصار ومعها صبي لها فقال لها هل من مال فقالت لا والله ما تركوا
لي شيئاً فقال والله لتخرجن الي شيئاً اولاقتلنك وصبيك هذا فقالت
ويحك انه ولد ابن ابي كبشة الانصاري صاحب رسول الله صلى الله

عليه وسلم ولقد بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم معه يوم بيعة الشجرة على ان لا ازني ولا اسرق ولا اقتل ولدي ولا آتي ببهتان افتريه فما اتيت شيئاً فاتق الله ثم قالت لابنها يابني والله لو كان عندي شيء لافتديتك به قال فاخذ برجل الصبي والثدي في فمه فجذبه من حجرها فضرب به الحائط فانتثر دماغه في الارض قال فلم يخرج من البيت حتى اسود نصف وجهه فصار مثلا وذكروا انه قتل يوم الحرة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثمانون رجلا ولم يبق بدري بعد ذلك وكانت الواقعة في ذي الحجة لثلاث بقين منها سنة ثلاث وستين من الهجرة وفي تاريخ احمد بن يوسف الدمشقي المعروف بالقرماني ان مسلما دخل المدينة وانتهبها ثلاثة ايام وافتض فيها الف عذراء والقصة اعجب من ذلك وقد اطال المؤرخون في فظاعتها ووصفها .وفي تاريخ القرماني ان ذلك الجيش سار حتى اتى مكة سنة اربع وستين من الهجرة فنصب اميره الحصين بن نمير المنجنيق على ابي قبيس ورمى به الكعبة المعظمة واحترقت من شرارة نيرانها استار الكعبة وقرنا الكبش الذي فدي به اسماعيل وكان بالسقف وجاء رجل في طرف رمحه نار واستعملها بالفسطاط فوقعت النار على الكعبة فاحترق الخشب وانصدع الركن واحترقت الاستار وتساقطت الى الارض وذلك سنة اربع وستين من الهجرة والقصة

مسطورة في التاريخ معلومة وصاحب المنحة اعزه الله نقل تلك الوقائع وزاد عليها من عنده ونسبها الى قوم اتوا بعدها بما يزيد عن الالف ومائة سنة فالله يجزيه جزاء المفترين وعلى فرض ان ما ذكره له اثر فما يجيب به عن واقعة الحرة وغيرها من الوقائع فهو جوابنا فليتأمل من يطالع رسالته وليطالبه بالنقل وعند ذلك يتجلى الحق على ان فن التاريخ قد وصل اليوم الى درجة عالية ولا يعانيه الا من عنده حذق وتمحيص وتدقيق كما نراه اليوم في كتب الاوربيين أفيكون اولئك اولى منا بالصدق والمدعون للعلم لا يبالون بالافك والتعدي والافتراء واتباع الاغراض واهواء النفوس كأنهم لم يعرفوا الحديث الصحيح «كفى بالمرء اثما ان يحدث بكل ما سمع» على اننا نقول ان في الاخبار مبالغة وليطالع صاحب النفحة كتاب استاذه «دحلان» من اوله الى اخره ولينظره بعقل فانه يجده قد نسب الى الاشراف امراء البيت الحرام من القتل والتعدي وسفك الدماء اكثر مما افتراه على من سماهم وهابية فيعلم حينئذ ان الرجل لا ثقة بما ينقله ولا بما يقوله وانما يبني بنيانه على شفا جرف هار .

ان صاحب المنحة اعاد بعد ذلك معنى ما ذكره في رسالته الاولى وانزل نفسه منزلة الشاكي ينوح تارة ويعوه اخرى ويلفق ويخرق وما اعرفه بذلك العلم وما قصده الا اثارة الفتن والتوجه عند العوام لمآرب يعلمها علام الغيوب

دس نفسه بين الصوفية وتكلم على الذكر ثم تدرج الى ان نسب للقوم انهم اخترعوا من الذكر ما يناسب الوقت حيث قال (تفنن الشيوخ المرشدون من اتقياء الامة في تعليم المريدين طرائق الذكر بحسب ما رأى كل مرشد حال اهل الوقت الذي كان فيه) فانظر كيف نسب الشيوخ الى الابتداع ومخالفة كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وهل بلغه ذلك بنقل صحيح عن الشيخ عبد القادر الجيلاني او السيد احمد الرفاعي والدسوقي والبدوي واضرابهم ام عن الشيخ ارسلان وابي البيان ام عن رجال الرسالة القشيرية ام عن اساتذة حلية الاولياء لابي نعيم فان كان بلغه ذلك فليخبرنا به من غير تحريف ولا تبديل فان اخبار اولئك القوم بلغت من بعدهم بطرق كادت تكون متواترة وما بلغنا ان واحدمنهم انشأ عبادة لم يأذن الله بها فالله يتولى هدانا ويلهمنا الرشد

وازيدك على هذا ان الشيخ عبد القادر الجيلاني لا يهمنا انتسابك اليه فان نسله قد ملأ البلاد وهم اعرف الناس بانساب بعضهم ولكن يهمنا ان نقول نحن اولى الناس به من جهة علمه وصلاحه الذي صار كالمجمع عليه فان الشيخ رضي الله عنه حنبلي المذهب سلفي الاعتقاد كما تشهد له بذلك كتبه ابعد الناس عن البدع وهو الصارم المسلول على من خالف سنة الرسول ولقد اخذ عنه العلم من هو مثل الشيخ موفق الدين المقدسي مجتهد المذهب الحنبلي والحافظ عبد الغني

المقدسي امام اهل الحديث في وقته وغيرهم وانتصر اهل السنة بظهوره كما ذكره الحافظ ابن رجب في الطبقات وغيره ووصفه بانه شيخ العصر وقدوة العارفين وسلطان المشايخ وسيد اهل الطريقة في وقته وكان بارعا في المذهب والخلاف والادب والاصول أفيليق بقدر هذا الامام ان ينسب اليه المخرفون بانه كان صاحب طبل وزمر وبدع ما انزل الله بها من سلطان توصلا الى غايات سافلة وميل الى اقوال افتراها عليه من يريد بها عيب هذا الدين وهو والله بريئ منها كما ان الرفاعي والبدوي والدسوقي وغيرهم من الكمل بريئون من جميع ما ينسبه اليهم اهل الخلاعات والمجون

مساكين ايها السادة زهدتم في الدنيا واظمأتم نهاركم واسهرتم ليلكم في عبادة ربكم ثم لقيتم وجه الله فخلف من بعدكم خلف جعلوا حياضكم موردا لكل متحيل ومنهلا لمن يروج بدعة يبتغي من ورائها الطعام والشراب يلفق كلاماً يشبه كلامكم ولم يجاهد نفساً لتكون مثل انفسكم

ثم ان كرامات الاولياء ماسمعنا من احد انكارها واذا كان ثم انكار فانما هو على اشياء مكذوبة لا تطابق عقلاً ولا نملاً وكيف ينكرها قوم يتلون كتاب الله وسنة رسوله لكن صاحبنا اخذ يلتقط اشياء من افواه العامة ويسود به صحيفته ومثل هذا يكون الكلام معه ضائعاً فلا يلتفت اليه وان اطال مهما اطال ونحن

نكلفه ان يثبت مدعاه بالنقل من كتاب موثوق به فان وجد شيئاً من ذلك فنحن نشاركه في الرد على المنكر لكن على طبق الشرع وصحة النقل وحاصل الامر ان هذا الرجل لشغفه بالظهور وان كان فيه الخروج عن الشرع يتسرع الى تكفير من سماهم وهابية ثم يحمله الحقد ان ينسب اليهم ما ليس لهم به علم ويستعين على تأييد مدعاه بالسب والشتم فان كان اولئك باؤا بذنب التكفير فقد باءهو بذلك الذنب وزاد عليهم بذنوب الافتراء والافك والسب والشتم والتعدي على الشرع وتحريفه ومن طالع رسالته بامعان علم منه ذلك فنعوذ بالله من الرياء والنفاق

اما الكلام على الخضر فقد كفانا مؤنة الكلام عليه الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه الاصابة والحافظ ابن الجوزي وغيرهما من كبار العلماء وما يذكره الصوفية من حياة الخضر والياس فهي رموز قد حلها صاحب الفتوحات المكية في السؤال الثالث والخمسين والمائة من المجلد الاول من فتوحاته حيث قال الخضر عبارة البسط والياس عبارة عن القبض فكتب الصوفية الفت لمن يعرف مصطلحهم لا للجاهل الغبي الذي لم يشم شيئاً من مداركهم ثم يتكلم على حد قول القائل

كلامك ياهذا كبندق فارغ   خلي من المعنى ولكن له طقش

ولله در المعري حيث قال

فما بال هذا العصر ما فيه آية من المسخ ان كانت يهود رأت مسخا
وقال باحكام التناسخ معشر غلوا فاجازوا الفسخ في ذاك والرسخا

وقال

احسن بهذا الشرع من ملة يثبت لا ينسخ فيما نسخ
جاءت اعاجيب فويح لنا كاننا في عالم قد مسخ

خاتمة

لفق ذلك المدعي رسالة ثالثة كرر فيها ما ذكره في الاولى والثانية من الافك والذي نعرفه لو ان ابن سعود ارسل الف دينار لتوزع على اهل العلم ممن كان على طريقة ابن عبد الوهاب لرأيت ذلك الفاضل اول من يدعي ذلك ولاطلق لسانه والف في مدحهم ليحصل له القسم الاوفر من ذلك المال ولتبعه اولئك المشاغبون ولحصل نزاع فيما بينهم ثم لو ارسل الامام يحيى الفين لتعطى لمن كان على مذهب زيد لرأيتهم اعلنوا بانهم زيدية حبا بالمال فالله يوفقنا واياهم .

اغار الاسكندراني على ما لفقه دحلان في اخر تاريخه فمسخه وزاد عليه لتكون صحيفته كثيرة السواد ثم رأى رسالة للحافظ السيوطي سماها مسالك الحنفا في اسلام ابوي المصطفى فدخل بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين ابويه بوقاحة وسوء ادب لينتحل تلك الرسالة ويسرقها ويفتح باب تلك المسألة مفتريا على اولئك

القوم ولو انصف لطالع كتاب الفقه الاكبر الذي ينسبونه للامام ابي حنيفة وهو بريء منه واطالع رسالة منلا على القاري فيا ايها الفاضل مالك ولهذه المسائل المفروغ منها ومالك ولهذه الدعوى هب انها راجت عند العوام والجموديين فهل تروج عند من له ادنى ملكة من العلم وما الموجب لدخولك بين الرسول صلى الله عليه وسلم وابويه وهل وكلوك بذلك ولكن

ومن البلية عذل من لا يرعوي   عن جهله وخطاب من لا يفهم

وبالجملة فانه غاية ما يقال في هذا الفاضل انه يسعى السعي الحثيث في ابعاد العوام عن خالقهم ورازقهم ومدبر امرهم ويربطهم بالمخلوقين ويلهيهم بما لا يجلب لهم نفعا ولا ضراً ويبعدهم عن سنة نبيهم وعما جاء في القرآن من الآيات البينات ويحيل لذلك بفتح باب التحريف الذي يسميه التأويل وعما جاء في القرآن من الآيات البينات ليتسنى له ان يكون مشاراً اليه عند العوام وعقلاء القوم من كل مذهب لا تروق لهم تلك الخزعبلات ولا يميلون الى ذلك الحشو والجمود وكأني بهم وقد رفعوا اصواتهم بالحق ومزقوا بمرهفات اقلامهم وسهام السنتهم استار الباطل والحق مهما تغلب عليه المبطلون لا يعدم نصيراً

ان من جملة التعدي نقل اخبار الخوارج والصاقها بغيرهم ولو كان لاؤلئك اطلاع اعلموا ان الخوارج موجودين الى اليوم وهم ما نريد

عن عشرة ملايين ولهم مذهب خاص بهم وكتب من الفقه والتفسير وجلهم في جاوى ومنهم الاباضية في تونس والجزائر وبقية المغرب وهم يجاهرون بمذهبهم ويطبعون منه المجلدات ولكن جمود بعض قومنا ابعدهم عن الاطلاع على ما في العالم من المذاهب وحصروا انفسهم في دائرة ضيقة وقاسوا علوم العالم على ما تعلموه وسولت لهم انفسهم انه لا يوجد اذكى ولا اعلم ولا افقه منهم فالله يلهمنا واياهم الصواب .

خاتمة

اجتمع جماعة ممن دأبهم ترويج الخرافات على العوام واسروا النجوى بينهم قائلين كاد الذين يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ان يقضوا على حرفتنا الساسانية قضاء مبرما فقال لهم رئيسهم لا ضير الامر اسهل ما يكون موهوا ما شئتم وارقصوا وغنوا ولا تتقيدوا بمذهب فان اعترض عليكم معترض نادوا باعلى صوتكم . انت وهابي مبغض للرسول منكر للاولياء . واحفظوا هذا الطلسم فانه يجلب لكم المال ويدسكم في الوظائف ويحضركم الموائد اللذيذة والمآكل الشهيه وتنهال الهدية عليكم واذا جلستم في المجالس فقولوا نحن اخذنا اللب وتركنا لغيرنا القشور واذا وجد عالم متفنن مصلح فاطلقوا السنتكم بذمه والافتراء عليه لتموهوا على العوام انكم اعلم منه واستحلوا الكذب مادمتم تريدون اصلاح جيوبكم ومعيشتكم واعلموا انه كلما كثر الجهل وقع العوام في

عمساء فكلما لاح لكم طريق لنشر العلم فبادروا الى طمس معالمه وكلما اتاكم ذوا بصيرة فناصبوه بالعداوة والقوا في الاذهان ان العلوم الدنيوية باجمعها كفر وضلال وماذلك الا انكم لم تشموا رائحتها ولانها تقضي على خرافاتكم بالدمار وكلما رأيتم صاحب فكر مستنير قابلوه بالمكر والخداع حتى اذا غاب عنكم تلذذوا بغيبته ونميمته ونصب المكايد له وحينئذ يتم ما تريدون . فاذعوا لما امر به وقام الكل متعاهدين على ذلك ومهما كان الامر

ومهما تكن عند امريءٍ من خليقة　　وان خالها تخفى على الناس تعلم



تنبيه

وقع اثناء الطبع بعض اغلاط نبهنا على المهم منها

خطأ	صواب	صحيفة	سطر
استأصالها	استئصالها	٧	٨
مذاهب	مذهب	١١	١٨
حنفاء وذلك	حنفاءويقيم الصلاةويؤتوا الزكاةوذلك	١٢	١١
ايام مدير الامر	ايام في استوى على العرش يدبر الامر		
معتزلاً	معتزليا	٢٠	١٣
ان مالكا في التمهيد	في التمهيد ان مالكا	٢٢	١١
ولا قال	ولا قاله	٢٧	٧
قوسه	فوقه	٢٨	١٢
ما ذا	اروني ما ذا	٤٤	٨

وبقي ما يخفى على القارئ



نظرة

في

رسالة

[النفحة الزكيه في الرد على شبه الفرقة الوهابية]

مؤلفها

أبو اليسار الدمشقي

الميداني

طبعت في مطبعة الترقي عام ١٣٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الولي الحميد ، الغفور الودود ، الفعال لما يريد ، الهادي الى دين التوحيد ، الذي الف بين قلوب عباده المؤمنين فاصبحوا بنعمته إخوانا من بعد ما كانوا أعداء ، القائل « لو انفقت ما في الارض جميعاً ما الفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عليم بذات الصدور » والقائل : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا » والصلاة والسلام على نبي الرحمة ومصلح الأمة الذي أنزل الله عليه : « لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم » والذي اثنى الله عليه بقوله « وانك لعلى خلق عظيم » سيدنا محمد النبي الامي الذي لان لقومه بما أودع الله فيه من رحمة ، فدعا الى سبيل ربه بالحكمة ، فاستجاب لدعوته الألوف من البشر ، ولو لا الرحمة والحكمة لما هوت اليه الافئدة ، ولما أشربت حبه القلوب ، ولما دخل الناس في دين الله افواجا « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » «يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما

يذكر إلا اولوا الالباب »صلى الله عليه وعلى آله الاطهار ، وصحبه الابرار ما تعاقب الليل والنهار .

أما بعد فقد وقفت على رسالة (النفحة الزكية في الرد على شبه الفرقة الوهابية) لفاضل من نزلاء دمشق رغرض المؤلف منها الرد على من منع التوسل بذات النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبياء والصالحين ، وليت المؤلف وقف عند هذا الحد ، ولم يتجاوزه ، الى ماهو أبعد ، ولكنه وسع الدائرة ، وتناول في ذمه النجديين والشاميين ، وآذى في سبه وشتمه الاحياء والاموات .

وفي طليعة رسالته ترجمة للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ما أظن أن أحدا ممن رزق حظاً من التحقيق والمعرفة بحال المترجم وجانباً من الانصاف يرضى عنها ، لا سيما اذا خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى

ولا أحب أن اخوض معه فيما كتبه عن الوهابيين ومن يتهمه بالانتساب اليهم من الدمشقيين ، فان السب لا يعمد اليه الا عاجز أو صاحب هوى وانا ليس لي من غرض غير جمع الكلمة ، وتقريب مسافة الخلاف بين الفريقين وبيان الحق بلطف « فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ، وما انا عليكم بوكيل »

* * *

(نبذة من كلام مؤلف الرسالة)

اليك نبذة مما قاله في وصف بعض الدمشقيين (ص ٦) :

« ليس عجبي من ابن عبد الوهاب وتابعيه المخالفين لما اتفقت عليه الائمة رضوان الله عليهم باكثر من الشرذمة القليلة في دمشق المروجين لعقيدتهم الفاسدة ، وبضاعتهم الكاسدة ، الذين أرهقتهم الغواية ، وغشيتهم الجهالة واستزلهم شيطان الهوى والغرور ، حتى هوى بهم إلى أخس دركة من دركات السخافة (وقال) فواخجلتاه كيف يروق للشرذمة المنتسبة اليهم الموجودة في دمشق المتصفة بالتمدن والحضارة ان تكون تابعة لسكان البوادي وتفتتن بعقائدهم البديهة البطلان ، مع أن فيهم من ينتسب الى العلم ، ويدعي الفهم ؟ (الى ان قال) : كيف افتتنوا بتلك الترهات ، وانخدعوا بالموهات ، ونهضوا يروجون تلك العقائد الزائغة ، والاضاليل الباطلة ، ويبثون في افكار العوام هذ المذهب الذي اطبقت عقلاء الامة على فساده إه

أقول هذه جمل من عباراته العالية ، وآدابه السامية ، في وصف اخوانه الدمشقيين — دع النجديين وما وصفهم به — عرضناها على القارئ الكريم ليعرف بها مبلغه من الادب ، ودرجته من الحرص على جمع الكلمة ، والتأليف بين المسلمين في هذا اليوم الا يوم !

وقد نقل لنا غير واحد عن هذا الرجل أنه صار في درسه يذم بعض علماء دمشق وغيرهم من اموات واحياء ويصرح باسمائهم واسماء

بعض محلاتهم واحيائهم ، وينفر ممن أخذ العلم عنهم ، او سمع شيئاً منهم ، وأنه لما تعرض للميدانيين ردّ عليه بعضهم أحسن رد ، .

فلما اتصل ذلك بسماحه رئيس العلماء استدعاه وسأله : لم عدل في درسه عن إرشاد العامة ووعظهم ، الى الطعن باشخاص ذهبوا إلى رحمة ربهم ، وآخرين في قيد الحياة ؟ فأنكر ذلك أشد الانكار ، وقال انه لم يصرح باسماء فلان وفلان وفلان في الدرس ، وانما كان يتكلم في مسائل عمومية لا تعلق لها بالاشخاص !!

ثم ليت شعري كيف يتهم الفئة الدمشقية بالانتساب الى الشيخ محمد بن عبد الوهاب وجماعته ، ثم يقول بعد : وقد سألت رجلا منهم (يعني الدمشقيين) عن مذهبه يوماً : أشافعي أو حنفي ؟ فأجابني بانه اثري يعني لا ينتسب الى أحد من المجتهدين رضي الله عنهم إه

فاذا كنت تفسر قوله بانه اثري بعدم الانتساب الى أحد من الائمة المجتهدين انفسهم (رحمهم الله تعالى ورضي عنهم) فكيف تنسبه الى رجل من اتباع أحمد بن حنبل وهو محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله تعالى) وكيف يمكنك أن تطابق بين الدعوى والدليل ؟

ثم كيف جاز لك أن تملأ رسالتك من دعوى أن الوهابيين قاطبة يكفروننا ويزعمون أنا مشركون وها نحن أولاء نراهم في مساجدنا يصلون خلف أئمتنا مقتدين بهم ، ولا تكاد تدخل مسجدا

من المساجد وقت الصلاة إلا وتجد بعضهم يؤدي الصلاة فيه مؤتما بامامه ؟ فاذا كانوا يرموننا بالشرك كما زعمت فكيف يقتدون بنا ويصلون معنا ؟ وهب انه كان التطرف والرمي بالشرك والكفر من بعض جهالهم وغلاتهم فهل يصح أن يؤخذ الكل بذنب البعض ، ألم يقل تعالى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » وهل يمكنك أن تبرئ جهالنا وغلاتنا من مثل هذا التطرف ؟ ولم لا تنصح لعوامنا وتنددبهم وتزجرهم عن تكفير غيرهم كما فعلت باولئك ؟ ؟

ثم ما معنى قوله : كيف يروق للشرذمة المنتسبة اليهم الموجودة في دمشق ، المتصفة بالتمدن والحضارة أن تكون تابعة لسكان البوادي؟ أي مدخل للتمدن والحضارة فيما نحن فيه ؟ أليس الكلام في التوحيد وما دخله من البدع ؟ أليست العقائد والعبادات من الدين الذي أكمله الله تعالى على يد رسوله صلى الله عليه وسلم أليس مبنى الدين على الاتباع المحض ؟ هل يجوز فيه التغيير والتبديل والزيادة والنقصان ؟ ما معنى التمدن والحضارة في هذا المقام ؟ !

ثم اي تمدن وحضارة تعني ؟ ان كنت تعني مدنيتنا وحضارتنا في هذا الزمان فالجواب أنا لا نرى أثراً لهذه المدنية بيننا لا في اختراع ولا في صناعة ولا زراعة ولا تجارة ، وإن كنت تريد مدنية أسلافنا فلا يحق لنا ان نفتخر بها ونحن قد اضعناها . ولقد تذكرت أن احد الاوروبيين كان يذكر لاحد افاضل المسلمين ما انتهت اليه اوربا

من البسطة في العلم ، والسعة في الملك ، والاختراع في الفن ويباهي بذلك ، فقال له المسلم لنا الفخر لان هذا الرقي قد اخذتموه عن اساتيذكم العرب وهم آباؤنا فاجابه الاوربي : لا حق لكم بهذا الفخر ونحن أحق به منكم لانا اخذنا علوم سلفكم ونشرناها فكنا بعلمهم عاملين ، أما أنتم فقد أضعتموها وكنتم لهم عاقين .

وإن كنت ترى المدنية في الافتتان باللباس والتفنن بالطعام والشراب والاستكثار من الوظائف والمرتبات من أجل ذلك ، فهذا أقبح ماسرى إلى صنف العلماء من الامور الذميمة ، وصدهم عن تخريج الطلاب ، في العلوم والاداب ، وتصنيف الكتب واحياء العلوم .

وأما وشرف العلم ان عند كثير من علمائنا الاغنياء من العلم والمال مايستطيعون أن يخدموا به كثيرا من الطلاب ، فلو كانت هممهم متوجهة لاحياء العلوم الشرعية والعربية لقاموا بهذه الوظيفة المقدسة حق القيام ، وإذا لازدهرت هاتيك العلوم في هذه الديار أيما ازدهار .

وإنك لتجد بعض الشبان والكهول من المشتغلين المجدين الذين قضوا شطرا كبيرا من حياتهم في الجمع بين المعقول والمنقول ، والتدقيق في الفروع والاصول ، يفتشون عن وظيفة علمية تسند اليهم لينفعوا بعلمهم ويستزيدوا منه ويتمرنوا على العمل ، وليستعينوا بالمرتب على أمر معيشتهم فلا يجدون الى ذلك سبيلا ، ولا من أحد من أهل العلم مساعدة ، ولو بالتخلي عن وظيفة ومرتب زائدين عن حاجتهم ،

فيضطرون هناك إلى الاشتغال بما يقيهم ذل السؤآل والامر لله

وقد كان الواجب يتقاضى من يزعم الغيرة على الدين وأهله ، ويدعي انه من حماته ودعاته ، ان يساعدهم بكل ما يمكن رحمة بهم ، وبمآت الطلاب التي كان يمكن أن تحصل عندهم وتتخرج على ايديهم .

من ذا الذي يخدم الدين للدين ، والعلم للعلم خدمة خالصة من كل شائبة لا يتقاضى عليها اجرا أوليس له في مقابلها شيء ؟ ألا ليت أصحاب الوظائف الموكول اليهم أمرها يقومون بها ويوفونها حقها كيلا يأكلوا اجورها من دون عمل وهي لم توقف او تخصص إلا لمن عمل .

(حالنا وحال النجديين)

إذا اردنا أن نقابل بيننا معشر أهل التمدن والحضارة ! وبين سكان البوادي النجديين الذين نزعم ، — ونوازن بين سخائنا على نشر العلم وسخائهم وغيرتنا على الدين وغيرتهم ، وكانت حالنا ما قدمنا — ورأينا كثيرا من كتب العلم الديني قد طبعها تجارهم ، وجعلوها وقفاً لله تعالى ، ووزعوا الالوف منها على المسلمين في عامة الاقطار ، سواء في ذلك اهل البوادي وسكان المدن والامصار ، ولا يزالون دائبين على طبع الكتب النفيسة ، حريصين على نشرها مجانا يخرجون بها الناس من ظلمات الجهل الى نور العلم والمعرفة ولم تكن تلك الكتب من تأليف اهل نجد فحسب ، بل معها كتب أئمتنا

واجلائنا الدمشقيين وغيرهم كابن تيمية وابن القيم وابن قدامة ؛ وهم يطبعونها ويوزعونها على المسلمين لا يريدون منهم جزاء ولا شكورا، فاي المدنيتين قد عم خيرها ، وظهر اثرها، وحق ان يفخر بها اهلها؟ المدنية التي افسدت علينا ديننا ومروءتنا ؛ وسلبتنا جل اوصافنا الحميدة ؛ واكسبتنا اخلاقا ذميمة كالبخل ، والكذب ، والكبر ، والبذخ ، والرياء ، وتقديم المصلحة الخاصة على المصلحة العامة ؛ ام تلك المدنية الفطرية الساذجة التي لم تشبها شائبة الفساد ؟؟ بربك انصف ثم احكم .

[عود على موضوع الرسالة]

قلنا انه جعل موضوع هذه الرسالة جواز دعاء الله تعالى مع التوسل اليه بذات النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء والصالحين وقد جعل هذه المسألة ام المسائل ، وموضع الخلاف والحكم بين الفريقين ، والحال ان هذه مسألة مشهورة ، وفيها نزاع بين العلماء معروف ، وهو لم يأت في رسالته بشيء غير ما استدل به بعض العلماء ورده البعض الآخر ، وسنذكر طرفا من ذلك ، وقد ذكر شيئاً وترك اشياء ، ذكر المختلف فيه ، ولم يتعرض لما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم نهيا صريحا ، وكيف يتعرض لذلك ويذكره وهو يخشى ان يعيد عليه الناس لفظ (وهابي) الذي لقبوه به من قبل (ما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم نهياً صريحاً وخالفه

الناس فيه) . اليك ما قاله الامام الحجة محي الدين محمد البركوي صاحب الطريقة المحمدية وغيرها في رسالته التي الفها (في زيارة القبور) قال (رحمه الله تعالى) : ومن جمع بين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في القبور وما أمر به وما نهى عنه ؛ وما كان عليه الصحابة والتابعون لهم باحسان وبين ما عليه اكثر الناس اليوم رأى احدهما مضادا للآخر مناقضاً له بحيث لا يجتمعان ابدا فانه عليه السلام نهى عن الصلاة الى القبور وهم يخالفونه ويصلون عندها

ونهى عن اتخاذ المساجد عليها وهم يخالفونه ويبنون عليها مساجد ، ويسمونها مشاهد

ونهى عن ايقاد السرج عليها وهم يخالفونه ويوقدون عليها القناديل والشموع بل يوقفون لذلك أوقافا

وأمر بتسويتها وهم يخالفونه ويرفعونها عن الارض كالبيت، ونهى عن تجصيصها والبناء عليها وهم يخالفونه ويجصصونها ويعقدون عليها القباب

ونهى عن الكتابة عليها وهم يخالفونه ويتخذون عليها الألواح ، ويكتبون عليها القرآن وغيره

ونهى عن الزيادة عليها غير ترابها وهم يخالفونه ويزيدون عليها سوى التراب الآجر والاحجار والجص

ونهي عن اتخاذها عيدا وهم يخالفونه ويتخذونها عيدا ويجتمعون لها

كاجتماعهم للعيد وأكثر

قال (رحمه الله) والحاصل انهم مناقضون لما أمر به الرسول عليه الصلاة والسلام ونهى عنه انتهى

(أقول) وكل هذه البدع القبورية التي ذكرها الامام البركوي رحمه الله واقعة في زماننا ومشاهدة لا تخفى على ذي بصر ، وقد ساق الامام البركوي الاحاديث الواردة في النهي عنها ، والمحذرة من الوقوع فيها أشد التحذير ، ومن اراد استيفاءها فليرجع الى رسالته (١) وصاحب (النفحة) غني عن سرد احاديث النهي في هذا الباب ، فانه يعرفها ويعرف احكامها من كتب مذهبه فلم لم ينهى العامة عنها ولو بالتذكير ، من غير طعن ولا تكفير ، أو يخشى من ان يقال له (وهابي) — وهو يفر من هذا اللقب ، فرار السليم من الاجرب — فيؤثر السكوت عن بيان الحق ؟

وقال البركوي رحمه الله تعالى بعد أسطار مما تقدم — ونحن ننقل عبارته باختصار ، ونحذف منها ما يمس العواطف والشعور ، من نسبة الشرك او الكفر الى بعض أعمال غلاة القبور (قال): فانظر الى ما بين ما شرعه النبي عليه السلام من النهي عما تقدم ذكره في القبور وبين ما شرعه هؤلاء وما قصدوه من التباين ؟ ولا ريب أن في

---

(١) هي مطبوعة مع رسائل المؤلف في قسطنطينية سنة ١٣٢٦ ومطبوعة في مصر ضمن مجموعة سنة ١٣٢٩

ذلك من المفاسد ما يعجز العبد عن حصره :

(فنها) تعظيمها الموقع في الافتتان بها

(ومنها) تفضيلها على احب البقاع الى الله تعالى فانهم يقصدونها مع التعظيم والاحترام والخشوع ورقة القلب وغير ذلك مما لا يفعلونه في المساجد ، ولا يحصل لهم فيها نظيره ولا قريب منه ؟وذلك يقتضي عمارة المشاهد ، وخراب المساجد

(ومنها) اعتقاد أن بها يكشف البلاء وينصر على الاعداء ، ويستنزل الغيث من السماء ، إلى غير ذلك من الرجاء

(ومنها) الدخول في لعنة الله تعالى ورسوله باتخاذ المساجد والسرج عليها

(ومنها) النذر لها واسدنتها

(ومنها) المخالفة لله ورسوله والمناقضة لما شرعه في دينه

(ومنها) إماتة السنن واحياء البدع

(ومنها) ايذاء أصحابها فانهم يتأذون بما يفعل عند قبورهم مما ذكر ويكرهونه غاية الكراهة

(ومنها)أن الذي شرعه النبي عليه السلام عند زيارة القبور انما هو تذكر الآخرة والاتعاظ والاعتبار بحال المزور ، والاحسان اليه بالدعاء له ، والترحم عليه حتى يكون الزائر محسناً الى نفسه والى الميت إه

وقال في موضع آخر باختصار ايضاً : زيارة القبور نوعان زيارة شرعية

وزيارة بدعية (أما الزيارة الشرعية) التي اذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فالمقصود منها شيئان احدهما راجع الى الزائر وهو الاعتبار والاتعاظ والثاني راجع الى الميت وهو أن يسلم عليه الزائر ويدعو له .

(ثم قال) وأما الزيارة البدعية فزيارة القبور لاجل الصلاة عندها والطواف بها، وتقبيلها واستلامها، وتعفير الخدود عليها، واخذ ترابها، ودعاء أصحابها ، والاستغاثة بهم ، وسؤالهم النصر والرزق ،والعافية ، والولد وقضاء الديون، وتفريج الكربات، واغاثة اللفهات، وغير ذلك من الحاجات فليس شيء من ذلك مشروعاً باتفاق أئمة المسلمين ، اذ لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من الصحابة والتابعين وسائر أئمة الدين إهـ

| أقول | هذا قليل من كثير مما ذكره الفاضل البركوي في رسالته ، وهو متفق على جلالة قدره ، وغزارة علمه ، وهو الحنفي الصوفي صاحب الطريقة المحمدية التي شرحها الشيخ النابلسي قدس سره وهو الذي الف هذه الرسالة ومات . قبل أن يخلق الشيخ محمد ابن عبد الوهاب (رحمهم الله تعالى) فهل يقال انه وهابي ؟ واذا قلنا عنه ذلك . فان البركوي يقول : إن هذه منكرات وليس شيء منها مشروعا باتفاق أئمة المسلمين فهل يقال إن أئمة المسلمين المتقدمين منهم والمتاخرين على تباين الاقطار ، وتباعد الاعصار ، كانوا كلهم وهابيين؟ واذا قيل ذلك فما ذا يفعل بالاحاديث الصحيحة الصريحة في النهي

عما تقدم من البدع ، وهل يكون لفظ وهابي — والحال ما ذكر — لقب مدح أو ذم ؟

فان قال قائل : سلمنا ان هذه بدع ومنكرات ، وأن ماذكره البركوي رحمه الله قد صرح به الفقهاء على اختلاف المذاهب ، ولكن ذلك لا يقتضي تكفير العوام لأن العامي وان دعا غير الله او استغاث به فانه سليم النية والقصد ، ولو لا اعتقاده أن ذلك داخل تحت أغراض الشارع ومقاصده لما فعله ، على انك اذا سألته عن قصده فانه يفصح لك عن سلامة نيته ، وخلوص طويته ، وانه كان يظن أن ذلك الذي فعله كان طاعة لا معصية ، فنقول في الجواب : حق ماقلت فان كثيراً من العوام ملتزمون لاحكام الاسلام ، واذا قيل لهم قال الله قال رسول الله ، هذا حلال ، هذا حرام ، سمعوا ورجعوا ونعوذ بالله أن نكفر مسلماً غير جاحد ولا معاند ، وهو يعتقد أن ما يفعله مندوب اليه ، لا منهي عنه ولكني أقول سائلا : اذا كان هؤلاء مخطئين في عملهم يحتاجون الى ارشاد وتعليم ، وايضاح وتفهيم ، فلم لا نعلمهم ولا نرشدهم ، ولم لا نأمرهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر بالرفق واللين ، ولم لا ندعو الى سبيل ربنا بالحكمة والموعظة الحسنة ، بل لماذا يكون بعض المنسوبين الى العلم حماة هذه البدع والمنكرات بل دعاتها ، والذابين عن مرتكبيها ، والمنتصرين لهم ، وهم هم المعترضون على من ينهى عنها في المساجد ، والطاعنون فيه ، والمشنعون

عليه ؟ ألم يكن الواجب عليهم أن يشدوا أزرهم ، ويحموا ظهرهم ، ويساهموهم في إنكار هذه المنكرات ، ويشاطروهم في إزالة هذه البدع والضلالات ؟ أليس العلماء ورثة الانبياء ألا يجب عليهم بيان الحق ، أيجوز لهم كتمانه والسكوت عنه ؟ ألم يأتهم أنباء ما يجري حول قبور الانبياء والصالحين ؟ ألم يسمعوا ما كان يقوله بعض العامة في حرب طرابلس الغرب وغيرها — وما عهدهم منها ببعيد — إن الولي الفلاني قد ركب حصانه وسافر لقتالهم ، وقد خذلنا وفشلنا في كل تلك الحروب ، انا لله وانا اليه راجعون .

أرأيت أنه لو كان جيش من المسلمين مؤلفاً من مآت أو الوف مجهزين باحدث انواع السلاح ، وأفتك آلات الحرب ، وكان عدوهم مصبحهم أو ممسيهم وهم مستعدون لمنازلته ، ثم جاءهم غشاش كذوب بلباس أحد الصالحين وهيأته ، وقال لهم ايها المسلمون ارجعوا فقد كفيتم شر عدوكم ، وقد خرج أحد أولياء الله تعالى من قبره لقتالهم وطردهم ، ألا يصدقون ذلك الخبر ؟ ويعدون عدم تصديقه نقيصة ومذمة ؟ ؟ فأي أوهام اكبر من هذه الأوهام وأليس ذلك مناقضا لما أنزل الله به كتبه ، وأرسل به رسله ، لا سيما دين الاسلام ، وهدي النبي عليه الصلاة والسلام ؟

ليت شعري أكنت ترى هذه المنكرات فاشية شائعة بين الناس بهذا المقدار ، لو اتفقت كلمة المؤيدين لها والساكتين عنها من

المنسوبين الى العلم مع العلماء الاحرار ؟ ولم يخافوا في الله لومة لائم ؟

الحق أقول : ان هذه العقائد أو العوائد قد قبح أثرها ، وعم ضررها ، فتى تكون لمؤلف هذه الرسالة وأمثاله غيرة يكون من أثرها إزالة هذه البدع واحياء ميت السنن ؟ لم لا نرى لهم مثل هذه الغيرة أو قريباً منها في الدفاع عن أصل الدين والرد على المبشرين ؟ لم لا تظهر غيرتهم عليه بتعليم النشء الجديد العلم النافع ، وبيان أن العقل والنقل رضيعا لبان ، واخوان شقيقان ، ؟ لم لا تظهر غيرتهم عليه بتأسيس مدارس تغني النشء عن المدارس الاجنبية وتقيهم خطرها وضررها ، لم لا تكون لهم غيرة عليه بتأليف كتب تنشر محاسن الدين ومزاياه ، لماذا تظهر هذه الغيرة بالتفريق لا بالجمع ، وبالتنفير لا بالتأليف ؟ كيف يروق لهم هذا الرد والتلهي :

وهم يشهدون الطعن في دين أحمد   وما منهم من غاضب او معاتب

وتنظرهم ما بين كاس وطاعم   وتشهدهم ما بين لاه ولاعب

فمن كان منهم غائباً مثل حاضر   ومن كان منهم حاضرا مثل غائب

وليس لهم هم بغير رآسة   وما همهم الا صدور المناصب

آه وواحر قلباه من حال هؤلاء المفرقين النمامين ، ويا حسرة على المسلمين :

حنانيك يارباه ماذا اصابنا

وماذا دهى الاسلام سرعان عاجلا

وانت رعاك الله يانسل يعرب
الست ترى في ذالك مجدك زائلا ؟
سلام على يوم نرى العرب تتقي
به غدر من قد كان للدين خاذلا

[بحث الوسيلة والتوسل]

فان قال قائل انك قد توسعت في الموضوع ، وتبسطت فيه اكثر من المطلوب ، فهلا تذكر شيئاً في بحث الوسيلة . قلت ان الخطب فيها — في جانب ماتقدم — يسير ، والامر سهل ، والمسألة خلافية لا تحتاج الى هذا التهويل الذي اتى به حضرة مؤلف رسالة النفحة الزكية ، والقول بان مانعي التوسل هم الفرقة الوهابية ، ومثبتيه هم اهل السنة السنية ، غير صحيح ، فان البحث فيه معروف من قبل ان يخلق محمد بن عبدالوهاب باكثر من الف سنة واليك ما قاله الفاضل البركوي نقلا عن فضلاء مذهبه ، بل عن الامام ابي حنيفة نفسه (رضي الله عنه) قال : ان شأنه تعالى أعظم من أن يقسم عليه أو يسأل باحد من خلقه ، وقد انكر أئمة الاسلام ذلك فقال ابو الحسن القدوري في شرح كتاب الكرخي قال بشر بن الوليد سمعت ابا يوسف يقول قال ابو حنيفة : لا ينبغي لأحد ان يدعو الله تعالى الا به ، قال وأكره أن يقول : اسألك بمعقد العز من عرشك ، واكره أن يقول بحق فلان وبحق انبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام .

قال ابو الحسن اما المسألة بغير الله فمنكرة في قولهم ، لانه لا حق لغير الله عليه ، وانما الحق لله تعالى على خلقه .

وقال ابن بلدجي في شرح المختار : ويكره ان يدعو الله تعالى الا به فلا يقول اسألك بفلان او بملائكتك او بانبيائك او نحو ذلك ، لانه لا حق للمخلوق على خالقه . او يقول في دعائه اسألك بمعقد العز من عرشك ، وعن ابي يوسف جوازه لما روي انه عليه السلام دعا بذلك ولان معقد العز من العرش انما يراد به القدرة التي خلق الله بها العرش مع عظمته فكأنه سئل باوصافه

وما قال فيه ابو حنيفة واصحابه اكره كذا ، فهو عند محمد حرام ، وعند ابي حنيفة وابي يوسف هو الى الحرام اقرب ، وجانب التحريم عليه اغلب . إه

سبحان الله كم قام جامع (النفحة) وقعد ، وارغى وازبد ، في مسألة التوسل بالنبي عليه الصلاة والسلام ، وغيره من الانبياء الكرام ، وكم شنع على المانعين وكم طعن في دينهم ! فما ذا عسى ان يقول الآن وقد سمع ان الامام الاعظم ابا حنيفة النعمان رضي الله عنه يقول لا ينبغي لاحد ان يدعو الله تعالى الا به ؟ ويقول : واكره ان يقول بحق انبيائك ورسلك ؟؟ ثم سمع القاعدة وهي وما قال فيه ابو حنيفة واصحابه اكره كذا ، فهو عند محمد حرام ، وعند ابي حنيفة وابي يوسف هو الى الحرام اقرب ، وجانب التحريم عليه اغلب :

ما ذا عسى ان يقول في الامام ابي حنيفة النعمان (رضي الله عنه) وهو الامام القدوة بين الانام ، وقد سمع ان من مذهبه منع التوسل بالانبياء والرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام ، وان الدعاء به حرام او اقرب الى الحرام ؟

ليت شعري لو قلده المتمذهبون بالمذهب الحنفي قاطبة في هذا القول فما ذا يقول عن الامام وعنهم يا ترى ، أيقول انهم هم والامام معهم وهابيون ؟

وقال الامام أحمد ابن تيمية في كتابه (قاعده جليلة في التوسل والوسيلة) في بحث سؤال الله تعالى بحرمة الانبياء وجاههم « فقد تبين ان قول القائل اسألك بكذا نوعان ، فان الباء قد تكون للقسم وقد تكون للسبب ، فقد تكون قسما به على الله ، وقد تكون سؤالا بسببه ، (فاما الاول) فالقسم بالمخلوقات لا يجوز على المخلوق فكيف على الخالق (واما الثاني) وهو السؤال المعظم كالسؤال بحق الانبياء فهذا فيه نزاع ، وقد تقدم عن ابي حنيفة واصحابه انه لا يجوز ذلك (قال) فنقول قول السائل لله تعالى : أسألك بحق فلان وفلان من الملائكة والانبياء والصالحين وغيرهم ، او بجاه فلان ، أو بحرمة فلان ، يقتضي ان هؤلاء لهم عند الله جاه ، وهذا صحيح فان هؤلاء لهم عند الله منزلة وجاه وحرمة ، يقتضي أن يرفع الله درجاتهم ، ويعظم اقدارهم ويقبل شفاعتهم اذا شفعوا ، مع أنه سبحانه قال: « من ذا الذي يشفع

عنده الا باذنه» ويقتضي ايضاً ان من اتبعهم واقتدى بهم ، فيما سن الاقتداء بهم فيه ، كان سعيدا ، ومن اطاع امرهم الذي بلغوه عن الله كان سعيدا (قال) ولكن ليس نفس مجرد قدرهم وجاههم ما يقتضي اجابة دعائه اذا سأل الله بهم حتى يسأل الله بذلك ، بل جاههم ينفعه اذا اتبعهم واطاعهم فيما أمروا به عن الله ، أو تأسى بهم فيما سنوه للمؤمنين ، وينفعه ايضاً اذا دعوا له او شفعوا فيه ، فاما اذا لم يكن دعاء ولا شفاعة ، ولا منه سبب يقتضي الاجابة لم يكن متشفعا بجاههم ، ولم يكن سؤاله بجاههم نافعا له عند الله ، بل يكون قد سأل بامر اجنبي عنه ليس سبباً لنفعه (قال رحمه الله) ولو قال الرجل لمطاع كبير اسألك بطاعة فلان لك ، وبحبك له على طاعتك ، وبجاهه عندك الذي اوجبته طاعته لك قد سأله (لعل الاصل لكان قد سأله) بامر اجنبي لاتعلق له به فكذلك احسان الله الى هؤلاء المقربين ، ومحبته لهم وتعظيمه لاقدارهم مع عبادتهم له وطاعتهم اياه ، ليس في ذلك ما يوجب اجابة دعاء من يسأل بهم وانما يوجب اجابة دعائه بسبب منه لطاعته لهم ، أو سبب منهم لشفاعتهم له ، فاذا انتفى هذا وهذا فلا سبب (قال رحمه الله) نعم لو سأل الله بايمانه بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ومحبته له ، وطاعته له ، واتباعه له لكان قد سأله بسبب عظيم يقتضي اجابة الدعاء ، بل هذا اعظم الاسباب والوسائل انتهى

(اقول) تبين مما ذكره الامام ابن تيمية والفاضل البركوي

(رحمهما الله تعالى) ان المسألة فيها نزاع ، وأنه مبحوث فيها في البلاد العراقية والشامية من قبل أن تذكر في البلاد النجدية بمآت من السنين .

ولولا أن هذا المبحث وما قبله من المباحث التي نضجت واحترقت لخضنا غماره وناقشنا مؤلف الرسالة في كل مسألة من مسائله وقضاياه ولكنه يكون من قبيل المكرر المملول . غير أني انصح له — إن كان طالب حق ، وأراد أن يدعو الى الله على بصيرة — أن يرجع الى كتاب التوسل والوسيلة لشيخ الاسلام ابن تيمية ، ورسالة زيارة القبور للفاضل البركوي ، والدر النضيد للمحقق الشوكاني وغيرها ، ومن سبر تلك الرسائل عرف أن أدلة حضرة صاحب (النفحة) بعضها ليس له سند ولا أصل ، والبعض الآخر لا يدل على ماذهب اليه . على أن الاستاذ الشيخ ناصر الدين قد ناقش المؤلف في رسائله الثلاث فوفى الموضوع حقه ، ولسنا في حاجة الى الاعادة والتطويل .

فان قال : ان في هذه الرسائل التي أشرت اليها ماينفر من قراءتها — وهو نسبة الكفر أو الشرك إلى المسلمين . (فالجواب) أن ذلك لا يمنع طالب الحق من قراءتها مادام الاتفاق بين أهل العلم قائماً على أن ماحذرت منه هذه الرسائل من البدع والمنكرات القبورية التي ذكرناها شيء قد ملئت منه كتب الفقه ، وجاءت الاحاديث الصحيحة ناهية عنه ، محذرة من الوقوع فيه ، متوعدة عليه .

بقيت مسألة التوسل وامرها سهل ، اذ ليس الدعاء فيها الا لله

-عز وجل ، فمن قائل اللهم اني اتوسل اليك بايماني بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، وطاعتي له ؛ وحبي اياه ، ومن متوسل بذاته الشريفة صلى الله عليه وسلم وجاهه عند الله تعالى

[مجموعة الرسائل]

أنا لا أحب أن اكون رجل عصبية ، وحمية جاهلية ، ولا موقظ فتنة ، ولا مثير خصام ، بين بني الاسلام . بل ارجو ان أكون حكما منصفا ، وداعيا الى التآلف مخلصا ، والتآلف لا يتم إلا اذا اتفقت كلمة العلماء فباتفاقهم تصلح احوال العامة ، وكلمة العلماء لاتتفق الا اذا عملوا بهذه القاعدة : وهي ان ينكروا ما اتفقوا على أنه منكر ، ويعذر بعضهم بعضا فيما اختلفوا فيه

وما أثرناه من البدع والمنكرات عن الامام البركوي متفق على أنه منكر فيما أحسب لورود الأحاديث الشديدة فيه ، فيجب أن ينكر على فاعله كسائر المحظورات ، وما اختلفوا إلا في مسألة التوسل فليتوسل كل بما يعرف ، وليعذر بعضهم بعضا في ذلك كما قدمنا

اذا عرفت ذلك ، عرفت أن مافي المجموعة التي طبعها التاجر عيسى ابن رميح هو عين مافي الكتب ، ليس في ذلك شيء جديد ، وأما لفظ الشرك او الكفر فالمقصود منه الزجر عن البدع والمحرمات . على أن هذه الرسائل تصرح انه يجب على المؤمن أن يتوب الى الله تعالى من البدع المكفرات ويرجع عنها بعد بيان الحق له ، فان أصر

وعاند من بعد ماتبين له الحق ، فهنالك يكون له حكم المرتد والعياذ بالله تعالى .

أما السعي في مصادرتها من ايدي النـاس وإحراقها فلا أرى له وجها وجيها بل انه يعد جناية كبيرة على العلم وأهله لما فيها من الأدلة الجليلة ، والبراهين القطعية ، ولم لم يسع في مصادرة غيرها من الكتب التي تصادم نصوص الدين وتناقضها ؟

وتعجبني المحاورة التي دارت بين عالم سلفي من أنصار شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، وآخر صوفي من انصار الشيخ الاكبر قدس سره : قال العالم السلفي : اني تكلمت يوما مع بعض الغلاة فيما قاله صاحب الفصوص والفتوحات من الكلمات المصرحة بالحلول والاتحاد ، وذكرت له ما قاله فيها العلامة السعد التفتازاني ، والشيخ علي القاري ، والشيخ محمد البخاري ، وغيرهم فقال (اي الصوفي) إن هؤلاء لم ينصفوا فان صاحب الفصوص قد صرح بعقيدة الاسلام في كثير من كتبه فمن الواجب أن نصرف ما نسمع من كلامه المخالف للحق الى مايوافقه ، ونحمله على محمل حسن ، كما أولوا قوله : سبحان من اظهر الاشياء وهو عينها ، أي عين وجودها الماسك لها ونحو ذلك صيانة لهؤلاء الكمل من الوقيعة فيهم فقلت : فما قولك في مسلم يصلي ويصوم ويزكي ويحج البيت ، وقد تكلم بالكفر هل تؤل كلامه وتصرف عنه موجب

الكفر أو تقول بما قاله الفقهاء في كتاب الردة ؟ ثم انكم لم تذبوا عن ابن تيمية وتعتذروا عنه بمثل ما اعتذرتم عن شيخكم ، وقد ملأ الكتب من الايمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم فكان من الواجب عليكم أنه اذا ثبت عنه شيء مذكور في كتبه أن تجتهدوا في حمله على محمل حسن اه باختصار قايل

(اقول) لعمري ان الحق في جانب هذا الفاضل فان الفتوحات المكية والفصوص فيهما كثير من المسائل مما ظاهره يصادم نصوص الكتاب والسنة ، الامر الذي اضطر اخلص انصار الشيخ الأكبر أن يقولوا ان ظاهرها غير مراد ، وانها اما ان تؤول بما يوافق النصوص ، أو يفوض فهم معناها والمراد منها الى الله تعالى .

وقد وقعت كتب الشيخ ابن عربي في ايدي العوام والجهال ممن ليسوا أهلا لمطالعتها وفهمها ؟ فهم يفسرونها على حسب اهوائهم وجهلهم واغراضهم ومنهم من اعتقد الحلول والاتحاد ، واستباح حمى الاعراض ، وصارت له عبارات تقشعر منها الابدان ، وكلما كانت الى الكفر أقرب ، وعن الشرع أبعد يسميها فتوحا ، ولم نر أحدا سعى بمصادرة هذه الكتب من ايدي العوام ، غيرة على الدين ثم على الشيخ الاكبر الذي الفها للخواص ، والذى شهد له واثنى عليه باجتهاده في طاعة ربه والتزام احكامه أصدقاؤه وأعداؤه .

وشيخ الاسلام ابن تيمية الذي وقف بكتبه عند حدود الشرع

أعظم وقوف ، وتمسك بالظاهر المتبادر منها اشد التمسك ، ولم يفارق ما تدل عليه النصوص قيد شبر ، ولا قلامة ظفر ، يفكر بعض أهل العلم بمصادرة المجموعة التي طبعت حديثا منها ، ومنع الناس من قراءتها ، فوا أسفاه اين الانصاف ؟ !

فان قال قائل في رسالة (كشف الشبهات) لابن عبد الوهاب (رحمه الله تعالى) رمي بالشرك او الكفر (فالجواب) أن ذلك عينه مذكور في كثير من الكتب الحديثية وفي كتب الفقهاء والمقصود منه الزجر عن البدع التي اتفقنا على انها بدع ، والتغليظ والتشديد على مرتكبيها ليرجعوا عنها ، وانما يكفر الجاحد المعاند الذي يعرض عن الحق من بعد ما تبين له أنه حق كما تقدم .

وكما لا يسعنا تكفير المسلم المخطيء في شيء لم يظهر له أو لم يبلغه ، فكذا لا يجوز السكوت عن نصحه وارشاده ، ودعوته بالحكمة والموعظة الحسنة .

وكنت كتبت مقالا في هذا الموضوع (موضوع بيان الحق ، ودعوة الناس اليه برفق ولين وتعرضت فيه للمجموعة الجليلة التي طبعها ابن رميح) ، ونشر في جريدة (الف با) الغراء عدد (٥٥٢) تحت عنوان (الانصاف يزيل الخلاف) بتوقيع (ابو اليسار) وكان له وقع حسن في نفوس أهل الصدق والانصاف والاخلاص من الناس ، فيحسن بنا ايراده هنا واليك هو

(الانصاف يزيل الخلاف)

كثر الجدال واشتد الخصام بين الناس خاصتهم وعامتهم في امر رسائل بعض الاجلاء الأعلام التي طبعها التاجر ابن رميح على نفقته ووزعها على المسلمين في عامة الأقطار ، وجعلها وقفاً يبتغي به وجه الله ورضاه .

فمن مغال متطرف يمنع الناس من قراءتها ، ويشير عليهم باحراقها ، ويخوض في عرض أهلها ، ويوسعهم سباً وشتما

ومن ملح عليهم بتفهمها والاستنارة بنور أدلتها التي تكشف ظلمات الشبه والشكوك ، وتمزق حجب البدع والاوهام ، وتنقي العقائد من كل شائبة .

ومن نظر في حال أنصار الرسائل وخصومهم نظرا مجرداً عن الهوى يرى عند غلاة الفريقين تحاملا ظاهراً وتعصباً ذميا ،

فمن تعصب غلاة الفريق الاول انهم ينسبون الشرك والكفر الى من يدعو غير الله ، أو يحلف بغيره ، ويحملون عمل ذلك العامي البسيط على العداء والعناد ، وان أخطا باللفظ دون الاعتقاد ، مع أن الفرق بين هؤلاء العامة المساكين ، وبين المشركين الذين كانوا في عهد التنزيل مثل الصبح ظاهر

أهل الجاهلية كانوا يسمون كتاب رب العالمين إفكا ، وأساطير الاولين ، وقالوا عن النبي الكريم : شاعر ، ومسحور ، ومعلم مجنون وقالوا : لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون !!

وهؤلاء المسلمون يقولون القرآن كلام الله وهو وحي معجز، أولئك كانوا يقابلون المعجزة والبرهان، بالسيف والسنان، وهؤلاء يقابلون ذلك بالايمان والاذعان، إصرار أولئك على الباطل كان ناشئاً عن عنادهم، وقساوة قلوبهم وغلظ اكبادهم، وهؤلاء إذا رأوا الحق اتبعوه، وإذا رأوا الباطل اجتنبوه، فاذا ذكرتهم تذكروا ورجعوا الى الحق وشكروا، فكيف يقال انهم كفروا أو صاروا مشركين؟ فيا لله للعجب، هل الجمع بين الفريقين ولا جامع بينهم — إلا جمع بين الايمان والكفر، والهدى والضلال، وهل هو إلا جهل أو خطأ ظاهر، لا يصرُّ عليه الا كل مكابر؟!

(تعصب الفريق الثاني)

أما غلاة الفريق الثاني فهم أيضاً جهال بحال الفريق الاول، فمنهم من يقول انهم ينكرون الانبياء والاولياء، وسمع من بعض العامة لفظ أخشن وأشدُّ تشويها، وهو أن الوهابيين (فرمسون) ومعناه في لغة العامة أنهم طبيعيون — اي لا يدينون بدين! وقال: هو اسهل علينا من لفظ (وهابي) الذي لا نحفظه. ويظنون أن جميع النجديين خواصهم وعوامهم يكفرون عامة المسلمين!! والحق أن هذا افتراء عليهم يعلم ذلك من راجع كتبهم. وأما التكفير فهو من بعض غلاتهم وجهالهم، ويقابل ذلك ما نسمعه من بعض رعاعنا وشذاذنا عنهم، وهل يؤخذ الكلُّ بجريرة البعض؟

على أن هذه المسائل — وهي دعاء غير الله ، والحلف به ، والنذر باسمه ايا كان — امور كلها محظورة شرعاً ، ونحن متفقون معهم على انكارها ولكن بعض مدرسينا يتحامون ذكرها في الدروس ، خيفة من أن يرميهم احد بمثل ما يرمون به خصومهم ، وانك لتجدهم يدافعون عن عادات الناس وبدعهم ويقرونهم عليها ويؤولون كل قبيح منها ، مع علمهم بما ورد من شديد النهي عنها ، حتى كأن الدين ما عليه عامة الناس ، لا ما في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والله شهيد على ما يعملون .

[تشخيص الداء وطريق علاجه]

لايخفى ان جمع كلمة الامة من اهم المهمات ، كما ان بيان الحق والدعوة اليه من اوجب الواجبات ، ولكن القول اللين أوقع في النفوس واشد جذبا وتأثيراً ، «فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك» ولايخفى أن الانتقاد على العوائد ثقيل مر كالانتقاد على العقائد لا سيما إذا تمكنت من النفوس وطال عليها الزمن . وقد وصف الامام الشوكاني الشهير في رسالته (الدر النضيد) هذه البلوى العامة وصفا بالغا ، واليك كلمة وجيزة مما قاله :

واعلم ان ما حررناه وقررناه —(أي في شأن هذه البدع القبورية)— قد يخفى على كثير من أهل العلم ، وذلك لا لكونه خفياً في نفسه ، بل لاطباق الجمهور على هذا الامر —(اي أمر الطلب والدعاء ، والذبائح

والنذور لاهل القبور) — وكونه قد شاب عليه الكبير وشب عليه الصغير ، وهو يرى ذلك ويسمعه ، ولا يرى ولا يسمع من ينكره ، بل ربما يسمع من يرغب فيه ويندب الناس اليه ، (الى ان قال) ويوقدون في المشهد الشموع ، ويوقدون فيه الاطياب ، ويجعلون لزيارته مواسم مخصوصة ، يجتمع فيها الجمع الجم ، فيبهر الزائر ، ويرى ما يملأ عينه وسمعه من ضجيج الخلق وازدحامهم ، وتكالبهم على القرب من الميت ، والتمسح باحجار قبره واعواده ، والاستغاثة به والالتجاء اليه ، وسؤاله قضاء الحاجات ونجاح الطلبات ، مع خضوعهم واستكانتهم ، وتقريبهم اليه نفائس الاموال ونحرهم اصناف النحائر . فبمجموع هذه الامور مع تطاول الازمنة وانقراض القرن بعد القرن يظن الانسان في مبادئ عمره ، واوائل ايامه أن ذلك من أعظم القربات ، وأفضل الطاعات ، ثم لا ينفعه ما تعلمه من العلم بعد ذلك بل يذهل عن كل حجة شرعية (الى ان قال) لانه يبعد كل البعد ان ينقل ذهنه دفعة واحدة عن شيء يعتقده من أعظم الطاعات ، الى كونه من اقبح القبحات ، واكبر المحرمات » : اه (وأقول) لو أن الوعاظ والخطباء والمدرسين قد دعوا الى سبيل ربهم بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، وأصلحوا أحوال العامة وألفاظهم بدلا من التأويل لزال الخلاف ، وحصل السلام بين بني الاسلام ، اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وارنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ، يا ارحم الراحمين

نصيحة الى الواعظين

نختم هذه الرسالة بنصيحة نسوقها الى الواعظين ، عسى أن يكون فيها عبرة وذكرى لمن القى السمع وهو شهيد :

معلوم أن المقصود من الدروس العمومية تذكير الناس وإرشادهم وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، ودعوتهم الى ما فيه سعادتهم في الدنيا والاخرة . وللمذكر أو الواعظ شروط وأوصاف اذا توفرت فيه جرى على يديه خير عظيم ، ونفع عميم ، واذا لم يكن كذلك ذهب الوقت سدى ، وكان عمله عديم الجدوى . واليك ما قاله بعض العلماء الاجلاء في موضوع تذكير العامة وأوصاف المذكر :

موضوع ذكرى العامة موضوع جليل ، لا يصلح له الا كل حكيم نبيل ، أتدري من المذكر ، أو الواعظ ، أو المرشد ؟ هو انسان حافظ لحدود الله ، قائم على ارشاد العقول وتهذيب النفوس ، وتثقيف الاذهان وتنوير المدارك ، وتصحيح المعتقدات ، وإبانة سر العبادات وإماطة ما غشي الافهام القاصرة من غياهب الجهالة ، وتراث الضلالة

المذكر وارث محمدي ، واقف على مقاصد التشريع وحكمته ، عالم مواضع الخلاف والوفاق ، سائس لسامعيه بما يلائمهم من الاحكام ، لا يصعد بهم قمم الشدة والتعسير ، ولا يهبط بهم الى

حضيض الجهل غاوا في التيسير ، بل يسير بهم على جادة الحق وسواء الطريق .

المذكر ينشر العلم النافع بين الناس ، ويحثهم على العمل به ، ويخاطبهم على قدر عقولهم ، ويتنزل لارشادهم الى لغتهم ، يعاشرهم بالنصح ، ويخالطهم لتأليف قلوبهم .

المذكر هو العامل الاكبر في اخراج الناس من ظلمات الجهالة الى نور العلم ، وتحريرهم من رق الخرافات والوهم ، وهو كالسراج فاذا لم ينتفع بضوئه فلا فائدة في وجوده ، وحق ما قيل : « لا يكون العالم عالماً حتى يظهر أثر علمه في قومه » اذ ليس مسؤلا عن نفسه وحدها ، بل عنها وعن عشيرته ، وامته ، فمن الواجب عليه أن يعلم ويعظ ، ويبلغ كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى الجملة فالمذكر لا بد أن يكون كاملا في علمه ، كاملا في تعليمه ، كاملا في ارشاده ، كاملا في اخلاقه إه

(اقول) اذا لاحظ الانسان هذه الاوصاف المذكورة والقى نظرة عامة على الدروس العمومية في أكبر مسجد دمشقي — المسجد الاموي — رأى انها لم تتوفر كلها في درس واحد ، وعرف ان بعض مدرسيه لا يغني عن البعض الاخر ، وادرك ان الارشاد الكامل ، والنصح الشامل ، لا يتم الا بهم جميعا ، ذلك بان بعضهم قد الف النهي عن بعض المنكرات والسكوت عن البعض الاخر لسبب ما ،

والاسباب متنوعة ، والبعض الاخر قد تكفل ببيان تلك المنكرات والنهي عنها ، فهم كزهرات متفرقة تعطي الواحدة منها منظرا خاصا ورائحة شذية ، ولكنها اذا جمعت جميعا ، وصارت باقة زهر — كما يقولون — الفت منظرا اجمل ، ورائحة اشهى واقوى

ليس عجبي من سكوت الساكت عن بعض المنكرات باشد من عجبي من اعتراضه على من ينكرها ، ومقاومته له ، وانكاره عليه ، مع الطعن في دينه احياناً في الدرس العام ، وربما قابل الاخر الطعن بمثله ، والانكار باشد منه ، حتى صارت تلك الدروس مثار خلاف ، ومعترك خصام ، وحتى تنبه بعض العامة لذلك وقال : ان المدرسين قد خرجوا عن الموضوع ، وشغلوا عن الارشاد بالانتقاد ، فنحن لا نستفيد من دروس شأنها ما ذكر شيئا ، ومتى زال الخلاف ، وعادت الالفة بين العلماء عدنا فسمعنا واستفدنا

ولا يخفى ان الدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفائي على قول ، وفرض عيني على قول آخر ، فاذا كان بعض ما قدمناه منكرا باتفاق مثلا وانكره البعض الا يسقط الاثم عن الباقين — على القول الاول ، واذا لم ينكره احد منهم الا يكونون كلهم آثمين ؟ بلى إذا فلماذا يعترض بعض المدرسين على بعض ويطعنون في دينهم ، بدلا من أن يشكروا لهم القيام بواجب كان ينبغي لهم أن

يشاطروهم فيه ؟ أليس من علامات الايمان ، وآيات الاخلاص أن يبتهجوا بانكار هذه المنكرات ؟

قال قائل : ان بعض الواعظين في الجامع قد تكلم بكلام هو المنكر لا ما انكره (فالجواب) أن ذلك يحتمل أن يكون غير صحيح إما من كذب الناقل أو جهله أو تحريفه كما اتفق ذلك مرارا

وعلى فرض أن المدرس قد أخطأ في مسألة ما فليس هو معصوماً ولا غيره ، وقد قال الامام مالك بن انس (رضي الله عنه) : ما منا إلا من رد ورُد عليه إلا صاحب هذا القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم

وعلى كل فليس الدرس العام محلا لانتقاد المخطي وجوابه ، لان ذلك يحمله على أن يقرأ درساً في الرد على من انتقده كما هو واقع ، فيزيد الاشكال بدلا من أن يزول ، ويتسع الخرق على الراقع .

والله عز شأنه يقول : «فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير واحسن تأويلا »

فما على من ينتقد الآخر بشيء الا ان يجتمع به ، وينقل له عبارته ، ويبين له خطأه بالدليل ، ويذكر له الصواب بالدليل ، واذا وجد بينهما حكم أو اكثر من ذوي العلم والانصاف ، حلّ الوفاق محلّ الخلاف ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

تمت هذه (النظرة) على يد مؤلفها ابي اليسار الدمشقي الميداني
خامس عشر ذي القعدة الحرام سنة الف
وثلاثمائة واربعين والحمد لله رب العالمين